
روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
أسطورة
وحش البحيرة
ما وراء الطبيعة
٣

مكتبة

Telegram Network

2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

» لـ د. أحمد خالد توفيق «

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

٣

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة وحش البحيرة

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة
الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف
الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ٨،١٠ شارع المنطقة
الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٠،١٦ شارع كامل صدقي الفجالة– ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري
روكسى مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٠٠٤– ٥٩٠٨٤٥٥– ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

روايات مصرية للجيب



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة وحش البحيرة

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق




روايات مصرية للجيب
أسطورة
وحش البحيرة

مقدمة..

اسمي هو الدكتور (رفعت إسماعيل).. مهنتي - قبل تقاعدي - هي أستاذ أمراض الدم بعدة جامعات في أوربا وأمريكا، إلا أن هوايتي الأساسية هي صيد الأشباح..

مختارًا أو مجبرًا وجدت نفسي ضيفًا غير مرغوب فيه في عشرات المقابر والقصور والبيوت المسكونة..، وكان مضيفي إما مذءوبين او اشباحًا، أو مصاصي دماء تلتمع أنيابهم الحادة في الظلام..!

يالها من حياة حافلة تلك التي عشتها..!

ترى ما الذي سأحكيه لكم اليوم؟!.. هل أحكي لكم صفقة الأرواح التي أبرمتها مع

د. (لوسيفر) (الاسم اللاتيني للشيطان)؟ أم أحكي لكم مواجهتي للزومبي الخارج من قبره؟ أم أحكي لكم تجربة الدكتور (فرانكنشتاين)؟!.. أم أحكي لكم مواجهتي مع لعنة الفرعون (أخيروم الأول)؟!.. لا أدري..

إلى الذين فاتتهم قصصي السابقة أقول إنه قد فاتتهم لحظات مثيرة من التشويق والترقب، وإني لأنصحهم أن يجدوها ويقرءوها، أما الذين طالعوا ما سبق فلهم أقول إنني لم أنته بعد..!.. لم تزل ذاكرتي قوية عامرة بالأحداث المروعة التي واجهتها في عمري المديد..

والآن أعتقد أنني سأحكي لكم قصتي مع وحش بحيرة (لوخ نس) الغامض.. وقد

وقعت أحداثها - إن لم تخني الذاكرة - في أواخر عام ١٩٦٤.. نعم..!.. هو كذلك..

والآن أضيئوا الأنوار وأغلقوا الأبواب.. واقلبوا الصفحة..!

سأحكي مغامرتي مع وحش البحيرة.. فلا تقاطعوني..

* * *

١ - ذكريات..

نحن الآن في منتصف الليل..

المكان: بجوار قلعة (إيركهارت).. في قارب وسط البحيرة.. والضباب البارد يغفو في خمول فوق صفحة الماء الساكنة، حتى لا يكاد يرى بعضنا وجوه البعض.. القارب يتأرجح..

الزمان: أواخر شهر يوليو من عام ١٩٦٤

الحدث: لقد قرر السير (جيمس ماكيلوب) أن يثبت نظريته..

في صمت ينظر إلى ساعته بعقاربها المضيئة، ثم ينظر إلي - أو هكذا يخيل لي - وإلى (ماجي) وإلى (إيوان)، ثم يقول وهو يضغط على كل مقطع من حروف كلماته:

- لقد حان الوقت..!.. تذكروا يا سادة.. لم يزل هنالك وقت للتراجع..، أريد أن أسمع موافقتكم مرة أخرى..

ثم إنه التفت لـ (ماجي)، متسائلًا:

- (ماجي)؟!..

أصدرت (ماجي) همهمة مبهمة بمعني استمر.. ووضعت القلادة حول جيدها..

- د. (إسماعيل)؟..

كنت أعرف أن أبواب الجحيم ستفتح بعد دقائق.. وأن الله وحده يعلم ما ستطلع عليه شمس الغد.. لكني كنت مسيرًا في طريق لا أعلم إلام يقودني، وقد اكتفيت بهز رأسي مشجعًا له..

- (فريزر)؟!

- أرجوك أن تستمر.

سعل السير (جيمس) في تؤدة، ثم قال وهو يمد يده إلى جيبه

- إذن فليكن ما يكون. وأخرج البوق العاجي من جيبه.. ونفخ فيه..

❋ ❋ ❋

ثمة قول قديم يقول إن كل كهف تحت بحيرات (اسكتلندا) يحوي وحشًا خرافيًا مرعبًا[1]، ولم أكن أعرف هذه المقولة في ذلك الوقت من عام ١٩٦٤، وهذا هو قدري.. بعد كل قصة من قصصي أكتشف أي أحمق كنته بالأمس، بل وأي ساذج كنت منذ لحظات.. وأحسب أني وصلت ذروة الحكمة.. ثم أكتشف - في مغامرتي

التالية - أن هناك ذروة أخرى لم أعرف عنها شيئًا على الإطلاق..

ولكن.. كيف لم أفهم وقتها، أنني حيث أذهب فهناك وحوش وشياطين.. ومادامت هنالك وحوش وشياطين، فإني - لابد - ملاقيها..؟!، هذا هو قدري الذي لا ذنب لي فيه ولا فضل..

لكني - للمرة الألف - أعترف أني كنت ساذجًا..

* * *

لم تكن تلك المرة الأولى التي أزور فيها (اسكتلندا)...ولم تكن تلك المرة الأولى التي أدخل فيها جامعة (داندي)..

فقد سبق لي أن جئت إلى هذا البلد في فترة البعثة التي حصلت فيها على درجة الدكتوراه.. ولى فيه أصدقاء حميمون بالفعل..

إن الاسكتلنديين إنجليز حقًا، لكنهم يختلفون كثيرًا عن الإنجليزي الذي نعرفه، فهم قوم شديدو اللطف والمودة، خالون من البرود والتعالي وثقل الظل، كما أنهم ليسوا ملتهبي المزاج كالايرلنديين..

في جامعة (داندي) كانت لي حكايات طويلة باسمة، وذكريات حفرت في أعماقي إلى الأبد..

واليوم - بعد عشر سنوات تقريبًا - أعود إلى أصدقاء الماضي الأعزاء.. (ماكنزي) و(مكارثر) و(مكديفيد).

و (..!...، لا ادري لماذا تبدا كل القاب الاسكتلنديين ب (ماك) ولماذا يدعي أكثر من نصف رجالهم باسم (أندرو)؟!.. ذكروني أن أسأل عن ذلك لو اتسع الوقت..!

المهم أنني قابلت أستاذي العظيم.. السير (جيمس ماكيلوب)، وكنت منبهرًا به إلى حد الجنون..، شعره الأشيب.. وسوالفه العجيبة.. وحاجبيه الكثين.. لطالما كان يشعرني أنه أحد عمالقة الطب الذين نراهم في المراجع الكبيرة، ويسبق اسمهم - دائمًا - لقب (سير)..، ثم بساطته الودود، وإيماءاته الأنيقة المليئة بالكبرياء، وتفكيره الممنطق.. كل هذا كان يجعلني أهيم به كمراهقة تهيم بأستاذها الوسيم...

صافحني في حرارة.. وسرني أنه يذكرني بعد كل هذه الأعوام.

- دكتور (إسماعيل).. أليس كذلك؟!

ارتعشت زاوية في اليسرى وأنا أهمس بكياسة:

- نعم.. (رفعت).. (رفعت إسماعيل)..

- تلميذي الفاشل!

ابتسمت في حرج لمجاملته، ولم أعرف كيف أرد!.. في حين استرسل:

- هأنت ذا قد عدت لمصر، وافتتحت عيادة خاصة تمتص فيها دماء الفلاحين البؤساء من أهل بلدك.. ونسيت كل شيء عن البحث العلمي.. لا تنكر ذلك؟

صحت في ذعر مقسمًا أن هذا لم يحدث، وأنني لم أمتلك حتى هذه اللحظة سوى

شقتي بالقاهرة، وأنني لم أتغير أبدًا..
- إذن لماذا كففت عن حضور مؤتمرات لندن!!
هل أخبره بالسبب الذي قد يكون سخيفًا في رأيه؟!.. للحظة لم أدر كيف أشرح له، إلا أنه باغتني بسؤال أكثر دقة وإحراجًا:
- هل هناك أخبار عن زميلنا د. (رتشارد كامنجز)؟!
ابتسمت في حرج، وقلت متظاهرة بالبراءة:
- لم أره منذ مؤتمر أمراض الدم في عام ١٩٥٩..
- هذا هو بيت القصيد..
قالها في تشكك، وهو ينظر في عيني تلك النظرة الثابتة، التي كان يمزق بها كل

أكاذيبي وادعاءاتي في الماضي، وأردف:

- إنه دعاك لبيته الريفي أيامها.. ثم.. لا شيء..، لا خبر عنه على الإطلاق سوى أنه سافر لأستراليا..، استقال من عمله، وانقطعت كل مراسلاته، ولم يترك حتى عنوانه لنتصل به.. فهل تعرف ما حدث وقتها؟!

لقد كنت أقربنا إليه وآخر من راه..

من الواضح أنني سأضطر إلى حكاية قصة مومياء الكونت (دراكيولا)، وتحول (كاترين) إلى مصاصة دماء - أو ما حاولت أن تقنعني به - وهربي في الظلام، وكل ما هو كفيل بأن يجلب علي سخرية هذا الأستاذ العظيم، أو شكوكه في سلامة عقلي، الواقع أنني دفنت هذه الذكرى

المريرة في أعماق ذاكرتي، وأهلت فوقها أطنانًا من غبار المشاكل اليومية.. لا أريد لها أن تعود مرة أخرى لتنغص حياتي..

قلت للسير (جيمس) في غموض:

- إنها قصة طويلة..

- إذن ستحكيها لي الليلة..

- هنا؟

- كلا.. إنني أدعوك إلى قصري في (إنفرنسشاير) كي تقضي نهاية الأسبوع، وهناك سنمضى ليلة رائعة تحكي لي فيها كل شيء..! إن برنامجًا حافلًا ينتظرك.

حاولت التملص منه لأنني - بصراحة - لم أعد أستريح كثيرًا إلى دعوات هؤلاء الأساتذة الإنجليز لي في بيوتهم... لقد كان (البرنامج الحافل) الذي أعده لي د.

(رتشارد كامنجز)، هو المبيت بجوار مومياء (دراكيولا) مع مصاصة دماء مراهقة. فأي (برنامج حافل) أعده لي هذا السيد؟!

لكنه كان قاطعًا في دعوته، ولم أكن أنا أملك أحشائي - كما يقول الإنجليز كناية عن الجرأة - كي أرفض هذه الدعوة.

- إن قصري على مسافة خطوات من (لوخ نس)...

قالها وهو يغمز بعينه، معتقدًا أنني أعرف مغزى هذا الاسم الذي قاله..

ولم أكن أعرف أي مغزى له، ولم يلفت نظري سوى حرف (الخاء) الذي نطقه في قوة وثقة، (والاسكتلنديون يستعملون حرف

الخاء في كلامهم بكثرة، مما يعطي الأذن إحساسًا غريبًا)..، لهذا رددت وراءه:

- (لوخ نس)؟!..

- أعنى بحيرة (نس).. أنت تعرف أن كل بحيرات (اسكتلندا) يبدأ اسمها بكلمة (لوخ) ما عدا بحيرة (منتيث)..، كلمة (لوخ) تعنى بحيرة..

- فهمت!.. إنني لا أعرف الكثير عن (اسكتلندا) في الواقع..

قال وهو يتنهد:

- هذه هي مشكلتك..، لقد أمضيت هنا سنتين تدرس، فلم تحاول - مجرد محاولة - أن تعرف شيئًا عن البلد الذي تدرس فيه..، ألم يحن الوقت لذلك..؟

- بلى.. ولكني..

- كفاك أعذارًا..!، عليك أن ترتب أمورك، وسنلتقي هنا في تمام الخامسة..، وتذكر..

ثم نظر إلى نظرة ذات معني:

- (ماجي) ستكون هناك!

* * *

٢ - إنفرنسشاير..

(ماجي) ستكون هناك!.. الألغام تنفجر واحدًا تلو الآخر في بحر ذكرياتي..

(ماجي) الهشة الرقيقة، التي كانت تستطيع أن تسير فوق العشب دون أن تثني منه عودًا واحدًا!...، العينان الزرقاوان الصريحتان البريئتان، إلى حد إشعارك بأنك شيطان!.. والشعر الذهبي الثائر..

الأيدي المتعانقة في شوارع أدنبرة.. والأحلام الشابة.. ومحاولاتي الخرقاء كي أبدو لها رجلًا محنكًا و(جنتلمان)، ومحاولاتها الساذجة كي تبدو لي أنثى غامضة تفهم الحياة..، ثم نلقي قناعينا ونضحك كالأطفال..

كانت (ماجي) هي ابنة السير جيمس الوحيدة، وكانت تدرس الفيزياء في جامعة (داندي) حين التقينا، وبشكل ما أدركت أن

أباها لا يمانع في علاقتنا إن لم يكن يشجعها..

وتمر الأيام وتصل عواطفنا إلى الذروة التي ليس بعدها سوى الهبوط!..

انتهى موعد البعثة.. فقالت لي في حنان:

- ابق هنا يا (رفعت).. ابق معنا.. إن أبي سيجد لك وظيفة محترمة في مستشفاه.. وسنكون سعداء..

قلت لها في رقة:

- تعالي معي يا (ماجي).. إلى مصر.. إلى بلدي المشمس الدافئ، وقومي الطيبين.. سنكون سعداء..

- أنا لا أستطيع أن أترك دراستي وبلدي..

- وأنا لا أستطيع أن أخذل بلدي التي أرسلتني في هذه البعثة.. ولن أترك أمي وأختي..

وكانت مناقشات عقيمة طويلة، توصلنا بعدها الاتفاق هام، هو ألا نتفق أبدًا..**!**.. وانفصلنا.. ولمدة عامين ظللنا نتراسل، ثم.. أنت تعرف كيف تحدث هذه الأمور..، لم أعد أذكر من الذي توقف عن الكتابة أولًا، لكننا توقفنا عن الكتابة بالفعل.. لم يعد في نفسي لها إلا أثر خافت، كبقايا قبلة طفل رطبة على خدك.. سرعان ما تجف لكنها تترك أثرًا منعشًا في روحك لفترة ما..

(ماجي) ستكون هناك..**!**

وهناك - في غرفة المائدة الفاخرة - قابلتها بعد كل هذه الأعوام..

- د.(رفعت) على ما اعتقد!

قالتها على سبيل الدعابة وهي تصافحني بتلك اليد الباردة البلورية، التي كنت أخشى أن أهشمها يومًا..، انحنيت في تكلف وغمغمت:

- مس (ماكيلوب)..

لقد تغيرت كثيرًا.. إنها اليوم - وهي على مشارف الأربعين - أبعد ما تكون عن تلك المخلوقة الهشة التي همت بها.. لقد صارت امرأة.. ولكم أثار هذا خيبة أملي.. لكني كنت على استعداد لأن أستعيد كل حب شعرت به نحوها، لو أنها برهنت لي أن روحها لم تتغير..، بالطبع هي لم

تتزوج بعد، ما دامت لم تعترض على مناداتي لها بمس (مآكيلوب)..

- أخشى أنك قد ازددت وسامة..!

- وأخشى أنك ازددت سحرًا..!

جلست بجانبي على المائدة، في حين جلس السير (جيمس) في صدر المائدة، وإلى يمينه سيدة حسناء في منتصف العمر، قدمها لنا على أنها مسز (إليزابث جولد)، أرملة الكوماندور المرحوم (ر. ت. جولد)..، وعلى يساره امرأة حادة النظرات أخبرني أن اسمها (كونستانس هوايت)، وكان بجوارها زوجها.. وهو عجوز أصلع أخذ يرمقني في شك..

كانت مأدبة فاخرة ومنشاة جدًا، مما جعل ابتلاع أية لقمة مجهودًا لا يستهان به،

وكانت (ماجي) ودودًا إلى حد مرعب، وتثرثر طيلة الوقت، لكني كنت غارقًا في مشاكلي الخاصة، مع آداب المائدة كي لا أبدو لهؤلاء السادة المتحذلقين فظًا ومتوحشًا.. لهذا كنت أرد عليها بإيماءات متكلفة معناها أن كلامها مسل جدًا..

وأخيرًا انتهى العشاء..

اقتادنا رئيس الخدم في كبرياء، عبر دهليز طويل تحف به الصور الزيتية القديمة، ودروع الفرسان الواقفة ممسكة برماحها، وعلى الجدار سجادة أثرية، مرسوم عليها لقطات من تاريخ اسكتلندا..

ذلك الجو الذي لا تستطيع أن تصدق أنه موجود بالفعل، وأنك حقًا هنالك.. لكنه يثير الخيال تمامًا..



اقتادنا رئيس الخدم فى كبرياء ، عبر دهليز طويل تحف به الصور الزيتيه القديمة ، ودروع الفرسان الواقفة ممسكة برماحها ..

انحنيت بجوار أذن رئيس الخدم، وهمست له بما معناه:

- وحياة والدك قل لي:

- سيدي..!

قالها من الأعماق وبلهجة راقية جدًا، وبكبرياء كأنه قد أهين..

واصلت سؤالي:

- هل أنت واثق أنه لا يوجد أشباح في هذا القصر؟!

- سيدي..؟!

- أعني.. هل هذا القصر غير مسكون بشبح اللورد فلان، أو الكونتيسة فلانة،

وأنهم يخرجون - على سبيل المثال - عندما تدق الساعة معلنة منتصف الليل؟؟

نظر إلى في حيرة ليتأكد ما إذا كنت معتوهًا.. ثم إنه شرع يضحك في افتعال:

- آها!.. إن السيد يمزح!.. لم أكن أعرف أن السيد يجيد الدعابة ويحبها.. هئ هئ..!

ثم إنه أشار إلى حجرة الجلوس، وهتف بطريقته المتعالية المتحفظة:

- والآن فليتفضل السادة بالجلوس ها هنا، في حين تتناولون القهوة..

إن سيدي سيلحق بكم حالًا..!

* * *

كان الجو مرحًا باسمًا في غرفة الجلوس، خاصة ونسائم الصيف العذبة تداعب

أحلامنا..، وحين لحق بنا السير (جيمس) بدأت محاورات مسلية حول أشياء كثيرة لا أذكرها..

ثم إنه سألني عن د. (رتشارد)، فشرعت أحكي له قصتي إياها.. أجدت الوصف وتصوير الجو، مما جعل عيون الجالسين كلها تتسع رعبًا، وهي تصغي لقصتي، وحين انتقلت إلى قصتي مع المذءوب في رومانيا، ساد الصمت الغرفة وبدا أنني قد غزوت عقولهم تمامًا، مما جعلني ألتهب فخرًا بنفسي..، ثم إنني حكيت لهم قصة النداهة.. وكانت دهشتهم واستثارتهم قد بلغت الذروة، مما جعلهم يطلقون صرخات انبهار ورعب، كلما تطورت أحداث قصتي..

لقد ملكت ناصية الحديث وانتصرت على رعبي الاجتماعي السابق، والذي كاد يفسد أمسيتي كلها..

اقتربت مني مسز (جولد) وقالت وهي تضغط على حروفها:

- لقد قابلت أخطارًا كثيرة يا د. (إسماعيل)، وإنك لرجل رائع بالفعل..

قالت (ماجي) في شيء من الغيظ:

- أو مؤلف رائع!

نظرت إليها في دهشة.. إنها تغار!.. حقًا تغار..!.. إذن لم أزل أنا هناك أحيا.. في قلبها..، إن اتهامها لي بالادعاء قد أثلج فؤادي كثيرًا..

حدقت في عينيها الزرقاوين بثبات.. وهمست:

- وا عزيزتي.. أنت لم تتغيري!

- ماذا تعني؟!..

- أعني أن كل رقتك تذوب وتتحول لشراسة النمور، بمجرد أن تشعري أن خطرًا يتهدد قلبك..

- أنت مغرور..!

- وأنت تحبينني..!

وهكذا.. لا أدري كيف تعانق كفانا. وكيف ذابت العشر سنوات في دقائق.. وكيف خرجنا للشرفة نرمق الليل الصافي.. حولنا مرتفعات اسكتلندا الشامخة، وأنسام الليل تهمس لنا أسرارها، وتحفر اسمينا فوق صفحة مياه البحيرة.. بحيرة (نس)...

ومن خلفنا. في غرفة الجلوس - كان الأخرون يثرثرون ويمزحون، وأدار أحدهم أسطوانة رقيقة على جهاز الفونوغراف..فانبعث صوت (تينو روسي) الرخيم، يتغنى بالإيطالية عن شيء ما لا أدري كنهه، لكن يتحدث - بالتأكيد. عن مشاعري.. ويصف خفقات قلبي في تلك اللحظة، كما لم أستطع أبدًا أن أصفها..

- (ماجي).. أنا لا أعرف شيئا عن حياتي بدونك..، مجرد هراء طويل مرهق.. إنني إلى عينيك أنتمي..

- إذن ستبقى معي للأبد..؟!..

- للأبد..!!

الاخ (تينو روسي) لم يزل يصف ما احس به بكلمات لا أفهمها.. وعيناها

الزرقاوان تدمعان.. وهناك في ظلام الليل بدت لي ملامحها أكثر رقة.. وجهها القديم الرقيق يبعث من قبره.. و..

وهنا ارتجفت وتصلبت ملامحها.. ورأيتها تنظر إلى بعيد.. تجاه مياه البحيرة..

- (ماجي)..؟.. هل ثمة شيء؟

أشارت إلى اتجاه نظرها.. وهتفت:

- قل لي.. هل ترى شيئًا ما يتحرك فوق سطح البحيرة؟ أم أن عيني تخدعانني..؟

نظرت باتجاه إصبعها إلى مياه البحيرة الملتمعة في ضوء النجوم، والتي تحركها الأنسام..، لا شيء هنالك.. ولكن.. بالفعل.. هناك شيء أسود غريب - كصخرة ملساء - يتحرك في تؤدة فوق

الماء.. أحيانًا يعلو، وأحيانًا يهبط، لكنه يحافظ على اتجاهه المنتظم تجاه ضفة البحيرة..

قلت وأنا أضيق عيني محاولًا أن أرى أكثر:

- إنها قطعة خشب طافية..

قالت وهي تبتلع ريقها بصوت مسموع:

- كلا.. أنت لا تفهم..

ثم إنها انفلتت من ذراعي - وسط عدم فهمي للأمر كله. ووقفت على باب الشرفة تنادي أباها من الداخل..

- دادي..!.. إنه (نيسي)!..

(نيسي)؟.. عم تتحدث هذه الفتاة؟.. وما ذنبي في هذه اللحظة الفارة من مصيدة

الزمن، كي يخرج لي هذا الأخ (نيسي) أيًا ما كان كنهه؟

خرج السير (جيمس) كالملسوع من الغرفة، وقد تدلى سيجار غليظ من شفتيه.. وهتف من بين أسنانه:

- كلا.. ليس في هذا الوقت**!**.. مستحيل**!**

صاحت (ماجي) في ثقة:

- تعال وانظر بنفسك**!**

نظر السير (جيمس) إلى البحيرة للحظة، ثم تمتم:

- ولكن.. بحق السماء هذا صحيح**!**.. قولي لـ(جراهام) أن يحضر الكاميرا وعدسة الزووم..

قالت مسز (هوايت)، وكانت قد دخلت الشرفة مع الآخرين:

- لا جدوى.. لن يستطيع الفلاش أن يضيء كل هذه المسافة..

وافقها سير (جيمس) في ضيق.. ثم عاد يرمق المشهد..

كنت أنا واقفا كالأبله لا أفهم أي شيء على الإطلاق.. لهذا تنحنحت وسألت في كياسة:

- ما هو (نيسي)؟!

نظر إلى سير (جيمس) لوهلة فظننت أنه سيرد علي.. لكنه كان شارد الذهن، فلم يعبأ بسؤالي، إنما التفت إلى مسز (جولد) وسألها:

- هل تظنين أنهم رأوه في (إيركهارت)..؟

- لا أعتقد..

هرش رأسه في حيرة.. ثم غمغم:

- ولكن اليوم هو السابع عشر من يوليو.. ثمة خطأ ما في حساباتي..

- ما هو (نيسي)؟

نظرت إلى (ماجي) في ضيق.. وعادت تتبادل حديثًا هامسًا مع مسز هوايت.

- (ماجي).. ما هو (نيسي)؟...

قالت وهي تنظر إلى بعيد، وقد انعكس بريق النجوم على مقلتيها:

- إنه اسم التدليل الذي نطلقه في اسكتلندا على وحش (لوخ نس)!!

* * *

٣ - أسطورة وحش البحيرة..

- إن الخسوف القمري قد أدّى لحجب البدر هذه الليلة.. هذا هو التفسير..

كنا جالسين في قاعة الجلوس، ودخان التبغ يملأ المكان، في حين شرعت النساء يلعبن لعبة الكونكان..، وكان المشهد الذي عشته منذ ساعة قد هزني كثيرًا..، صحيح أنه لم يكن واضحًا، لكنه كان مؤكدًا ولا يدع مجالًا للشك..

- نعم هو الخسوف.. لا شك في ذلك..

قالها سير (جيمس) وهو يهرش رأسه..

سألته في اهتمام:

- هل (لوح نس) هي أكبر بحيرات اسكتلندا؟

- كلا.. بل أكبرها هي بحيرة (لوموند)..

- وما حكاية هذا الوحش؟!..

في غموض ضيّق السير (جيمس) عينيه ونفث دخان سيجاره.. قائلًا:

- إنها قصة طويلة..

ثم إنه نفض رماد السيجار في منفضة زجاجية بجواره، وقال:

- إن أفضل من يحدثك عن هذه القصة، هو المسز (هوايت).. (كونستانس).... هلا حدثت د.(إسماعيل) عن قصة الوحش

قال الرجل العجوز الذي نسيت وجوده تمامًا:

- إن زوجتي خبيرة بالموضوع.. وقد قامت بتأليف كتاب كامل عنه[2]...

استدارت (كونستانس) من فوق كتفها وهي منهمكة في اللعب، وقالت دون أن تنظر إلي:

- لا يوجد الكثير مما يقال..

لقد بدأت القصة عام ١٩٣٣ حين خرج (جون ماكي) صاحب فندق (رمنادروشيت) مع زوجته للنزهة عند البحيرة.. وهنا رأيا ما رأيناه نحن تقريبًا..

جسمًا أسطوانيًا مقوسًا داكن اللون، ينزلق فوق مياه البحيرة..، وبالطبع فإن كون اثنين رأياه، يدل على أنه ليس وهمًا..

لهذا شاع الخبر.. واطلقوا على الوحش اسم (وحش لوخ نس)..

قلت في شك:
- لكنهما قد يكونان اتفقا على قصة ملفقة بغية الشهرة، أو ترويج حال الفندق الذي يملكانه...
واصلت (كونستانس) القصة دون تعليق:
- في ١١ مايو من نفس العام، كان (الكسندر ريبو) وولده (أليستير) يسيران بجوار البحيرة، فوجدا نفس (الشيء) يسبح تجاه خليج (إيركهارت) في حركة لولبية غير عادية.. و.. لقد أنهيت أوراقي..
وألقت بأوراقها على المائدة، معلنة انتصارها على (ماجي) ومسز (جولد)..
- إن لعبكما لعب مبتدئين يا صديقتاي..!
صاحت (ماجي) في احتجاج تطالب باللعب دورًا أخر، من ثم شرعت مسز

(جولد) (تفنط) الأوراق..
قالت (كونستانس) مواصلة قصتها، وهي تأخذ أوراقها:
- بعد ذلك استطاع (ويليام برودي) وهو في قاربه الأرو، أن يشاهد ذلك المخلوق على بعد ميلين من قلعة (إيركهارت)..
قلت في تساؤل:
- دائمًا قلعة (إيركهارت) هذه؟!
- نعم.. في كل مرة يشاهد هذا الشيء في مسافة ما بين قلعة (إيركهارت) و(أوجستس)...
- هل هناك مرات أخرى؟
- نعم.. لقد شوهد حوالي ثلاثمائة مرة..!
صفرت بفمي معبرًا عن الانبهار.. فابتسمت في رضا وقالت:

- دائمًا كان هناك الوصف ذاته.. جسم أسطواني طويل.. طوله يتراوح بين ٦-١٥ مترًا.. يسبح بسرعة ٢٠ عقدة.. وطريقة سباحته هي إما الحركة اللولبية وإما التثني المستمر..

هناك من قالوا إن له معرفة حصان لكني لا أثق كثيرًا بهذه الإضافة..، ولم يسمع له أحد صوتًا حتى الآن..

- وهل استطاعوا تصويره؟!

- مئات الصور.. لكنها جميعًا تمت في نفس الظروف التي رأيناه فيها هذه الليلة.. أي أنها جميعًا صور غير واضحة، ولا يمكن الاعتماد عليها بشكل علمي..

- وهل حاول العلماء دراسة هذا الموضوع..؟!



ـ مئات الصـور .. لكنها جميعًا تمت فى نفس الظروف التى رآيناه فيها
هذه الليلة .. أى أنها جميعًا صور غير واضحة ..

قالت وهي ترتب ورقها:

- أكثر من مرة.. أكثرها جدية هي محاولة العالم (وذرل) الذي جاء من (جلاسجو) ومعه فريق كامل من الكشافة، أمضوا أيامًا عديدة في انتظار ظهور هذا الكائن.. لكنهم لم يوفقوا...

بل إن سيرك (برايتون) أعلن عن جائزة مادية هائلة لمن يأسر هذا الوحش.. لكن بالطبع لابد لك قبل أن تأسر الوحش أن تجده.. ولهذا لم يفز أحد بالجائزة..

ثم كانت محاولات ضابط البحرية الكوماندور (ر. ت جولد) رحمه الله. وهي محاولات موفقة إلى حد ما..

- (ر. ت. جولد)؟.. إذن مسز (جولد)..؟
- نعم.. هي أرملته..
- ولكن.. يا لها من مصادفة!
ابتسمت مسز (جولد) في مرارة ورفعت وجهها نحوي:
- ليست مصادفة.. إن وحش (نس) هو الذي جمعنا جميعًا ها هنا، لأننا – جميعًا - من المهتمين بهذه القصة.
قال السير (جيمس) في مودة:
- إننا مجموعة من الأصدقاء نبحث عن الحقيقة، وإننا لابد واجدوها.. إن زوج مسز (هوايت) هو مدير قناة (كاليدونيا) التي تحرس البحيرة ومسز (هوايت) نفسها صاحبة أهم كتاب عن الوحش..

أما مسز (جولد) فهي أرملة مؤلف ثاني أهم كتاب عن هذا المخلوق، ثم (ماجي) وأنا بحكم جيرتنا لمسرح الأحداث، وكوننا رأيناه مرارًا.. بل إنني كدت أدهمه بسيارتي!.

- سيارتك؟.. هل هو..؟

- نعم.. إنه يترك البحيرة كثيرًا كي يتسكع هنا وهناك.. وقد رآه كثيرون يفعل هذا...

ابتسمت في سخرية، وشرعت أقهقه بصوت خفيض.. فقال سير (جيمس) في حنق:

- ما الذي يضحكك؟.. إن كل ما قلناه حقائق علمية...

استدركت معتذرًا بأنني لا أسخر من كلامهم، لكنى أسخر من حظي العجيب، الذي يقذفني دائمًا في كل مكان يجوبه شبح، أو يغفو به مصاص دماء، أو ينتظر فيه وحش!..

هنا قال (برترام هوايت) في لهجة موضوعية:

- إن كون الوحش موجودًا من عدمه، لم يزل يحتمل الكثير من الجدل.. لقد رأى كل هؤلاء (شيئًا ما)، لكنهم لم يروا وحشًا كامل النضج ينفث النار من فمه، وبمعنى آخر إن هناك شيئًا ما يشاهده الناس بكثرة في هذه البحيرة، لكننا لانعرف ما هو..

إن زوجتي قد درست الاحتمالات الأخرى كلها..

قالت مسز (كونستانس) في نفاد صبر، بما يوحي أنها حكت هذه القصة مرارًا:

- لقد فكر العلماء في كل شيء.. قالوا إن هذا الشيء سرب من الإوز البري.. وقالوا إنه حشد من سمك السلامون.. أو دلافين مشاغبة، أو أخطبوط عملاق..

قالت (ماجي):

- إلا أن أقوى الاحتمالات هو السمك الجداف.. وهو نوع من السمك يعيش هنا.. اسمه العلمي هو.... هو.... ريجـ....

قالت مسز (جولد):

- (ريجاليكاس جليسني)...

- نعم.. كما قالت بالضبط..، هذا السمك له معرفة حصان وطول السمكة مرعب..

وعمرها عشرون عامًا.. إنها تناسبنا تمامًا..

- إلا أن شيئًا من كل ما قيل لن يظهر في الصور بالشكل الذي رأيناه...

قلت في شرود:

- لكني لا أفهم.. إن هذا.. هذا الشيء.. غير مؤذ بالطبع.. أعني أنه لا يفعل أكثر من الظهور ليلًا وإثارة التساؤلات..

قال سير (جيمس):

- هو كذلك..

ثم نظر إلي نظرة ذات معنى.. وغمغم:

-.. حتى شهر مضى..!

❋ ❋ ❋

٤ - مرة أخرى..!

في الصباح سرت أنا و(ماجي) على شاطئ (لوخ نس) متشابكي الأكف..

تقع (إنفرنسشاير) في شمال (اسكتلندا) وسط مجموعة من المرتفعات اسمها مرتفعات (جرامبيان)، وتوجد في إنفرنسشاير أعلى نقطة في بريطانيا كلها.. واسمها (بن نيفس)..

ومن نقطة (بن نيفس) يمكنك أن ترى الوديان كلها نائمة عند قدميك، وترى بحيرة (نس) بوضوح شديد، إن بحيرة

(نس) هي أقرب لأخدود ما بين مرتفعات (جرامبيان) والمرتفعات الشمالية، هذا الجزء الأخدودي يدعى (جلينمور)...

وتعتبر بحيرة (نس) - هكذا أخبرتني (ماجي) - أضيق بحيرات اسكتلندا، حيث لا تزيد في بعض أجزائها على كيلومتر ونصف اتساعًا.. عمقها ٢٦٦ مترًا.. مساحتها ٥٦ كيلومترًا مربعًا.. طولها ٨٣.٤ كيلومتر...

لا أدري ما هي جدوى هذه الأرقام لكنني أسجلها للدقة الجغرافية فحسب.. ولكي أثبت ل (ماجي) العزيزة أنني لم أكن تلميذًا معتوهًا إلى هذا الحد..!

قلت لها معابثًا:

- (ماجي).. لم أر حتى اللحظة رجلًا اسكتلنديًا يرتدي التنورة!

ضحكت في سخرية، وقالت:

- إن هذا هو ولعكم بالأنماط.. إنها زي شعبي نرتديه أحيانًا، وليس طيلة الوقت.. نفس السبب الذي يجعلني لا أراك بالجلباب والطربوش، برغم أننا لا نتخيل المصري إلا هكذا..

- إن صورة الاسكتلندي في ذهننا، هي صورة رجل يرتدي البيرية والتنورة، ويعزف موسيقا القرب، ويشرب الويسكي طيلة اليوم..

قالت في مرح:

- نعم.. كما نتخيل المكسيكي بقبعة عريضة، وحزامي رصاص، وزجاجة

(تاكيلا)، يطلق النار طيلة اليوم، والأمريكي راعي بقر أبدي..، والألماني بشوارب كثة و(سالوبيت) وشوب بيرة.. إن السينما والقصص المصورة قد أفسدت تفكيرك، وجعلتك تميل إلى التنميط..!

- هذا صحيح.. لكن التنورة..

- على فكرة.. اسمها ليس تنورة، ولكن (كلتيه)..، كما ان الإسكتلنديين ليسوا بخلاء كما يحبون أن يصفوهم في القارة..

- هذا ما لم أخبره بعد..!

ضحكت في دلال.. ثم أخذت تنظر لوجهي في ثبات.. آه يا ملاكي!.. ليت لي وجهًا أجمل من هذا كي أريه لك..!.. في ضوء النار تبينت - بوضوح - ما اقترفته السنون من جرائم في حق هذا الوجه...

وجهها..، لم تعد نضرة.. ولم تعد صافية.. لقد صارت واحدة أخرى.. لكنها ظلت رائعة برغم كل شيء.. ولم أكن في حاجة إلى كثير جهد، كي أقع في غرامها من جديد.. سيكون هذا هو الحب الثاني في حياتي..، أولا أحببت فتاة رقيقة هشة اسمها (ماجي).. ثم الآن سأحب امرأة ناضجة منهكة أسمها - أيضًا - (ماجي).. ولن تتهمني إحداهما بأنني أخونها مع الأخرى..!

قالت في شرود وهي تتأملني:

- بحق السماء!.. أنت قد شخت حقًا!..

- آسف على كوني قد شخت، وأعدك ألا أكرر هذا الخطأ!!..

أخذت تضحك.. ثم قربت وجهها من وجهي.. وهمست:

- للأبد..؟!

- ماذا..؟

- ستبقى معي للأبد..؟

- وحتى تحترق النجوم كلها.. ولن...

وهنا صرخت في هستيريا وهي تشير للبحيرة:

- هل تراه؟.. إن (نيسي) يتحرك هناك..!! اللعنة..!

إن هذا (الأخ) ينوي أن يحطم أعصابي..!.. وهو لا يختار إلا أسوأ اللحظات - أو أفضلها - كي يعلن عن وجوده، ويواصل رحلته البلهاء في هذه البحيرة..

هو ذا ذلك الجسم الأسطواني الرمادي يشق طريقه بين الأمواج من بعيد، ورذاذ الماء ينتشر حوله.. أقرب شيء لغواصة تتحرك تحت الماء، وقد علا الماء منها حوالي ثلاثين سنتيمترًا.. إلا أنه بدا أكثر ليونة ومرونة من المعدن.. لاشك أنه كائن حي.. سمكة عملاقة أو حوت أو شيء من هذا القبيل..

صاحت (ماجي) - وكنت قد بدأت أمقتها هي ووحشها - في ذهول:

- لم يحدث أبدًا أن رآه أحدنا في ضوء النهار..

ثم نظرت ناحيته في حسرة.. وتنهدت:

- لو كان معنا كاميرا..

قلت لها وأنا أمد يدي في حقيبة اليد التي أحملها:

- معي واحدة.. ولكن لا تقولي إنك تنوين إضاعة عدة لقطات على هذا الشيء الأبله...

صاحت حانقة وهي تنتزع مني الكاميرا وتضبط عدستها:

- هل كانت معك طيلة الوقت، ولم تهتم بإخباري..؟.. لو أنه غاص في الماء قبل أن أصوره لقتلتك!!

- لكني لا أفهم.. ستكون مجرد صورة أخرى لا تثبت شيئًا.. أمواج وجسم رمادي وسطها، ثم إن الفيلم أبيض وأسود، مما سيزيد الأمور سوءًا.. مجرد كثافات رمادية لا يبدو فيها أي شيء..

- ششش..!!

قالتها وهي تصوب عدستها نحو الهدف.. و.. كليك!.. كليك... كليك!.. عشرات اللقطات لما تعتقد أنه معجزة اليوم.. كليك!.. كليك!.. كراك!!.. انتهى الفيلم لحسن الحظ..، وهنا - قبل أن أفهم - تركتني واقفًا كالأبله، وشرعت تركض تجاه القصر، وهي تصيح ملوحة بالكاميرا:

- دادي!.. إنه (نيسي)... لقد صورته في النهار..

وقفت وحدي على شاطئ (لوخ نس) أرمق ذلك الشيء المتحرك عن بعد..

في غيظ رفعت قبضتي، وصحت بالعربية التي لم يفهمها لحسن الحظ أحد:

- الأيام بيننا يا ماسورة المجاري الصدئة..!

على أنني تذكرت ما رواه لي السير (جيمس) ليلة أمس، مما جعلني أفضل عدم تحدى هذا الكائن، بل أقرر أن أنهي جولتي لأعود للقصر..

* * *

كئيب جدًا هذا القصر الذي يملكه السير (جيمس).. وكل ركن فيه يذكرني بأشباح اسكتلندا العديدة، التي نراها في السينما...،



قالتها وهى تصوب عدستها نحو الهدف .. و .. كليك !.. كليك !.
كليك !.. عشرات اللقطات لما تعتقد أنه معجزة اليوم .

ودروع الفرسان الواقفة في الردهة تبدو كأنها حية على وشك الحركة في أية لحظة.. وبالطبع لابد أن تحت هذا القصر شبكة كاملة من الممرات والمتاهات ومقبرة منسية، وربما كنزًا مدفونًا..!

ثم رئيس الخدم (جراهام) الوقور المتحذلق، الذي يثير وجوده في نفسي الرعب وجوًا من التشاؤم.. لو كانت هذه قصة لـ (أجاثا كريستي) لوجدوا السير (جيمس) مقتولًا في مكتبه، ولما وجد المخبر - (هركيول بوارو) طبعًا - متهمًا أفضل من رئيس الخدم الغامض هذا.. لكن هذه ليست قصة لـ (أجاثا كريستي) لحسن حظ السير (جيمس) أو لسوء حظي أنا..!

أخذ السير (جيمس) يسير بي بين الصور الزيتية، يعرفني أفراد عائلته العريقة - التي كان هو أخرها - بحكم النسب وبحكم الواقع - لأنه لم ينجب وريثًا ذكرًا..، وكان هو يعشق الطب؟ لذا اتجه لدراسته، وصار طبيبًا وأستاذًا لي ولغيري..

- إن عائلتي تعود إلى عهد (ماكبث) نفسه!

- (ماكبث)!!

ضحك في جذل.. وقال:

- لا أصدق أنك قد أمضيت سنتين في اسكتلندا دون أن تعرف أن (ماكبث) - بطل مسرحية شكسبير - كان اسكتلنديًا..

- لكنه شخصية خيالية..

- كلا.. الأساس التاريخي للمسرحية صحيح.. إلا أن (مكدوف) لم يقتله في الواقع، بل عاش حتى عام ١٠٥٥.. ومات ميتة طبيعية..، ثم تلاه (مالكولم) الثالث في عام ١٠٥٨..

ثم يتتالى تاريخ اسكتلندا المتشعب المعقد، وسلالة ملوكنا الذين حكمونا من قصر (هوليرود هاوس)..

ثم وضع يده على كتفي، وقادني لغرفة مكتبه وهو يقول:

- ولكن دعنا من هذا.. تعال لنرى صور (وحشك) التي التقطتها (ماجي).. لقد وصلت الآن..

وعلى مكتبه الأثري الفاخر، تناثرت صور فوتوغرافية، لما التقطته (ماجي)

صباحًا..، وكانت - كما توقعت- في غاية الرداءة وعدم الوضوح..

وقد زادتها قطرات الماء المتطايرة فوق العدسة سوءًا..

- فاشلة تمامًا.. هه؟

سألني وهو يقدم لي سيجارًا، ويجلس خلف المكتب.. فقلت:

- لقد أنذرتها..

قال لي:

- لكن هناك شيئًا جديدًا يستحق الاهتمام، هو أن وحش (لوخ نس) قد غير من نظام ظهوره..

- نظام؟!.

ابتسم في مرح، وتساءل:

- بالطبع.. أليس وحشًا بريطانيًا..؟.. إنه منظم ودقيق جدًا.. وظهوره ليس عشوائيًا على الإطلاق..

ومد يده لدرج مكتبه، وأخرج لفافة ورق مقوى فردها على المكتب.. وكانت عليها نقاط حمراء وخضراء، ورسم دقيق لساحل اسكتلندا الشمالي، مع أسهم عدة..، وبدا يشرح لي - في تؤدة - أن هذا المخطط يحاول تحديد أماكن وتواريخ ظهور هذا الوحش، مع ربطها بالوضع الفلكي وحالة القمر والساعة والظواهر الطبيعية كالمد والجزر.. الخ..

وكان من الواضح أنه يتحرك في دائرة مركزها على بعد مائة متر من قلعة (إيركهارت)..، كما أنه من الواضح أيضًا

أنه يختار ليالي المحاق -حين يغيب القمر - ويبدأ الجزر وينتصف الليل كي يظهر.. وقد رسم له السير (جيمس) - أو العبقري الذي لاحظ كل هذا - منحنى تفصيليًا يتنبأ بدقة أين وكيف سيظهر المرة القادمة..

- في أغسطس ٦٤ سيظهر في منتصف ليلة الحادي عشر هنا.

في سبتمبر ٦٤ سيظهر في منتصف ليلة اليوم السادس هنا..

صحت بانبهار:

- إنه عمل رائع..!.. إذن كل ما تحتاجونه هو أن تكونوا هناك في هذه اللحظة بكاميراتكم وكشافاتكم..

- لم نفعل هذا بعد، وسأقول لك السبب بعد قليل..

وناظرًا إلى الخريطة المعقدة أمامي تذكرت شيئًا:

- وأين يذهب بعد هذه الفترات؟.. أين عرينه؟!..

هرش السير (جيمس) رأسه في تؤدة.. وغمغم:

- هذا هو السؤال كما يقول هاملت.. ثمة احتمالان..

الاحتمال الأول هو أنه يعيش في كهف تحت البحيرة، وأنت تعرف المقولة الشهيرة إن كل كهف تحت البحر في اسكتلندا يحوي وحشًا خرافيًا..

الاحتمال الثاني هو أنه يعيش في بحر الشمال، وحين يعلو الفيضان في شهر

يناير وفبراير، يتمكن من دخول (لوخ نس) عبر إحدى قنوات (كاليدونيا) السبع.. ولكن.. لكم من تساؤلات تحيط بهذا المخلوق!

* * *

٥ - صخرة التضحية..

قال سير (جيمس):

-كانت الصحافة تؤيد دائمًا الاحتمال الثاني، خاصة أن الوحش لا يظهر بتاتًا في السنوات التي لا يجيء فيها الفيضان..

إن بحر الشمال مليء بالأسرار.. وهو يحتمل وجود مئات الوحوش مثل وحشنا..

- وما رأيك أنت..؟

- أنا متعادل.. التجريب هو القياس الوحيد الذي أعرفه..

قلت في حماسة:

- لماذا لا تمدون شبكة - كالتي يضعونها حول الموانئ لمنع تسلل الغواصات المعادية. لتسد قنوات كاليدونيا هذه؟

قال ببرود:

- وعندئذ؟

- وعندئذ نعرف.. لو لم يعد الوحش للظهور في (لوخ نس) فمعنى ذلك أنه سجين في بحر الشمال الرهيب..

- لم تزل متسرعًا كعهدي بك!

قالها في عتاب.. ثم بدأ يشرح لي ما غاب عني:

- يحتاج هذا إلى شبكة طولها كيلومتران، وارتفاعها ٢٩٠ مترًا، كي تسد القناة.. فكيف نصنعها؟.. وكيف نعطل الملاحة؟

ثم هب أننا فعلنا ذلك.. فإننا لن نثبت شيئًا.. لو كان الوحش داخل البحيرة لحظة وضع الشبكة، سيظل يظهر كعادته دون أن نعرف شيئًا.. فكر في حل أخر..

شرعت كالمحموم أفكر.. لم أصل لشيء، فقلت له ما معناه أن حماري قد غلب، فقال وهو يعبث بالقلم:

- السونار3.. الموجات فوق الصوتية قادرة على مراقبة مداخل القناة دون أن

تسدها... وتستطيع دراسة الأعماق دون جهد وبتكاليف لا تذكر..

لقد قام قسم فيزياء الصوت - تحت إشراف (ماجي) وموافقة (برترام هوايت) مدير القناة - بمراقبة القنوات السبع طيلة فترة الفيضان، بوساطة تقنية معقدة من الموجات فوق الصوتية.

- والنتيجة؟

- سلبية.. لم يمر من قناة كاليدونيا سوى أسماك، وبرغم هذا عاد (نيسي) يمارس عمله.. فماذا نستنتج من ذلك..؟

- أن الوحش كان هنالك دائمًا.. في القاع..

- هو كذا..

ثم أنه نهض وأخذ يتجول في الغرفة عاقدًا يديه خلف ظهره.. مهيبًا رائعًا كعهدي به..، بعد دقائق من الشرود قال لي:

- لقد لاحظت أن ظهور الوحش كان دائما حول محيط دائرة مركزها قرب قلعة (إيركهارت).. لقد حاول الكومندور (ر. ت. جولد) أن يحدد مركز هذه الدائرة بالضبط ووجد أنه صخرة ضخمة في وسط البحيرة..، وقد استكشفنا هذه الصخرة خفية، حاملين بعض المعاول.. فوجدنا عظامًا بشرية - كلها لأكف ومعاصم - ووجدنا صندوقًا من الخشب المتآكل، تفتت في أيدينا حين حاولنا إخراجه.. وداخل الصندوق كانت هناك

قلادة غريبة الشكل، وبوق من العاج أو ربما من قرن ثور بري، ولفافة من الجلد..
تجمدت في مقعدي لأن القصة بدأت تأخذ مجرى شديد الإثارة بالفعل..
أنا أحب هذه الأشياء، وأعتقد أن أكثركم يشاركني الرأي..
استطرد سير (جيمس) في قصته:
- وها هي ذي اللفافة..
ومد يده، وأخرج من درج المكتب شيئًا متآكلًا قذرًا، عليه رسوم باهتة ساذجة.. زوارق.. وأشخاص.. وشيء كالثعبان يخرج من الماء.. و... لم أفهم شيئًا من هذا الهراء.. ولم أحاول أكثر.
قال سير (جيمس):

- أنت تعرف أن شمال اسكتلندا كان محتلا بقبائل الفايكنج والسلت في القرن الثاني عشر.. في عصر الملك (دافيد) بن (هنري) الأول و(ماتلدا)...

طبعًا لم أكن أعرف شيئًا من هذا، لكني هززت رأسي بما يعني أن هذه المعلومة قديمة جدًا ومكررة..

قال سير (جيمس) في رزانة:

إن لدينا ما يحملنا على الظن، أن هذا المخطوط خاص بقبائل الفايكنج.. وهو يرسم قصة مسلية جدًا.. سأشرحها لك ؛ لأننا قد قتلناها دراسة..

المشهد الأول يصور الآلهة غاضبة.. وأعتقد أنها هي (أودين) معبودة الفايكنج الوثنية..

المشهد الثاني يصور وحشًا كالثعبان له معرفة حصان يهاجم الناس من الماء.
المشهد الثالث يصور رجلًا ينفخ في البوق عند أحد الخلجان..
المشهد الرابع يصور فتاة مقيدة على الصخرة ونصفها السفلي متدل في الماء، في حين يتقدم الوحش ليفترسها.. وعلى صدرها قلادة معينة..
لاحظ أن القمر غير باد في الصورة..
والآن نستطيع أن نجمع أطراف القصة..
لقد اعتاد الفايكنج - أو السلت - تقديم القرابين لوحش (لوخ نس) كي يتركهم وشأنهم، لأنهم اعتقدوا أنه انتقام من معبودتهم الوثنية (أودين).. وكانت القرابين تقدم له عند هذه الصخرة، في صورة

عذراوات شابات يقيدن بالسلاسل، ويلبسن قلادة الفداء..

ثم يقف كاهنهم عند خليج (ايركهارت)، وينفخ في البوق.. من ثم يتحرك الماء ويرتفع رأس الوحش خارجًا من كهفه.. لابد أن تأثير هذا كان دراميًا وإنني لا أحب أن أرى هذا المشهد أبدًا..

كان هذا يحدث بانتظام، بحسب التقويم الديني لهذه القبائل، الذي لا أعرف عنه شيئًا للأسف، لكننا نستطيع التنبؤ به..

وبمرور الوقت لم يعد هناك فايكنج ولا سلت.. فماذا يفعل هذا الوحش المسكين، الذي فقد مصدر طعامه؟!.. لقد عاد ليغفو في كهفه مكتئبًا منتظرًا قدوم الفرج، وأن

يسمع مرة أخرى صوت البرق يدعوه للعشاء..

ومع الوقت تعلم أكل السمك.. لكنه ظل يدور حول صخرة القربان، في المواعيد التي تعلمها.. مواعيد الفايكنج لتقديم القرابين..

ان مذاق الفتيات الحسناوات ظل حيًا في ذاكرته، وقد ظل يأمل أن تعود تلك الأيام...

هل لديك أية أسئلة؟!..

قلت بعد أن تنحنحت لأنظف حنجرتي:

- هل هو نفس وحش الفايكنج؟.. أعني كيف يعيش كائن حي من عصر الفايكنج حتى اليوم؟.. حوالي ثمانية قرون..؟!..

قال السير (جيمس):

- ربما كان هناك أكثر من واحد يتناسلون فيما بينهم، ويورثون ذرياتهم ذكرى مبهمة عن صخرة القرابين..

وربما كان نفس الوحش، وهو في حد ذاته ظاهرة علمية، فلم لا يكون عمره هو نفسه ظاهرة أخرى؟!.. إن السلحفاة قد تعيش قرنين.. فلم لا يعيش هذا الشيء ثمانية قرون؟!..

قلت في حيرة:

- والقلادة؟.. لابد أنه كان يبتلعها في كل مرة.. فكيف..؟

- كانوا يصنعون قلادة فداء جديدة في كل مرة.. هذا ليس صعبًا ولا مكلفًا..

تفكرت حينًا في كلامه.. ثم قلت في ارتياح:

- الواقع أن نظريتك تبدو متماسكة.. واسمح لي أن أضيف إلى ذلك أن سفن الفايكنج التي كانت تجوب بحر الشمال، كانت تحمل في مقدمتها نحتًا خشبيًا لرأس وحش يشابه تخيلنا لـ(نيسي).. كأنهم أرادوا أن يرضوا (أودين)، أو يخدعوا الوحش كي لا يهاجمهم..

لابد أنه كان مرعبًا حين يبرز لسفنهم في ظلام الليل، وسط بحر الشمال الرهيب..

وارتجفت حين تخيلت المشهد.. لحسن الحظ أنني لم أكن هناك

" قال سير (جيمس) وهو يجمع أوراقه:

- لكني لم أقل بعد أخطر ما في الموضوع..، لقد سرقت القلادة والبوق من الكومندور (جولد) في ظروف غامضة..

- سرقت؟
- نعم.. ثم استجد شيء آخر، هو أن الوحش صار يظهر في أوقات غير منتظمة..، أي أن هناك من يستعمل البوق ليناديه كلما أحب ذلك..
- ولأي غرض..؟
- هذا هو ما أعطيتك لمحة عنه ليلة أمس..
لقد زرنا الصخرة منذ أسبوعين - أنا و(ماجي) - فوجدنا سلسلتين مثبتتين بالصخر، وتتدليان في الماء.. جذبنا السلسلتين لنعرف.. فماذا وجدنا؟
قلت في هلع:
- لا.. لا تقل..

- نعم..!.. كما فهمت أنت!.. كفين ومعصمين مقيدين بالسلاسل، وقد بترا تمامًا.. إنهما ما تبقى من إنسان نهشة الوحش بالكامل، وترك الجزء المقيد لأنه لم يستطع انتزاعه.. كانت اليدان رقيقتين مما يوحي أنهما لفتاة..

وفي البلدة كان البوليس يبحث عن شقراء تدعى (جوسلين)، اختفت منذ ثلاثة أيام، ولم يعرفوا لها أثرًا..، وبالطبع لا يحتاج المرء لكثير ذكاء كي يعرف أين ذهبت (جوسلين) هذه..

صحت في تقزز وأنا أشعر بالعالم يدور من حولي:

- سير (جيمس)..!.. هل.. هل تعني أن هناك من عاد يمارس تقديم القرابين

البشرية لوحش (لوخ نس)؟

- بالفعل.. وسواء كان هذا الشخص سفاحًا، أو مجنونًا، أو عالمًا مخبولًا، فالنتيجة واحدة.. وهو يعرف ما نعرفه بالضبط..، إنه يخطف الفتاة ويقيدها على الصخرة، ثم ينادي الوحش بالبوق ليبعثها إلى (فالهالا)4...

- ياللفظاعة!

أضاف السير (جيمس) وقد اكتسب صوته نبرة درامية لا داعي لها:

- الملحوظة الأخيرة، هي أن هذه الفتاة من أصل سويدي.. أي أن أجدادها كانوا من غزاة الشمال..!

* * *

٦ - القبو..

جالسًا بجوار (ماجي) في غرفة الجلوس في تلك الأمسية، شعرت بدهشة غير عادية وانبهار لا حد له بها..

هذه الفتاة الرقيقة - أو المرأة الرقيقة - التي لم تزل متعلقة بي، تخفي في أعماقها قوة هائلة، لم أتخيل أنها لديها.. هي تعرف كل ما تعرفه، ولم تخبرني به.. هي تدير مشروعًا عملاقًا لمراقبة قناة (كاليدونيا) بالموجات فوق الصوتية، دون أن تثرثر عن ذلك طيلة الوقت.. هي شاهدت ذلك

المنظر البشع على صخرة القربان ولم تنهر.. ولم تفقد عقلها..

غريبة أنت يا (ماجي).. وإن غموضك ليفوق كل قدراتي على التوقع..

قلت لها:

- لماذا لم تخبريني..؟

- هم...؟

- بما قاله لي والدك اليوم.. عن الوحش..

قالت في حذر وهي تنظر لعيني نظرة ثابتة:

- حسن.. ما الذي قاله لك بالضبط... ما الحد الذي وصل إليه

مرة أخرى تثير إعجابي.. إنها تخشى أن يكون كلامي محاولة لجعل لسانها ينزلق.. المهم أنني شرعت - دون حذر - أخبرها

بكل ما قاله لي السير (جيمس) وهي تصغي دون تعليق.. ثم سألتها في عتاب:

- لماذا لم تخبروا البوليس بما وجدتموه على الجزيرة؟.. إنهم أقدر منكم على العثور على سارق البوق والقلادة.

ابتسمت في غموض وقالت:

- إن البوليس لن يعثر أبدًا على السارق، لأنه لم يترك أثرًا...

- على الأقل يمكنهم مراقبة الصخرة لمنعه من قتل فتاة أخرى..

- (رفعت)..!.. أنت لا تفهم.. إن لدينا هدفًا أكبر من كل هذا.. فلا تجعل أبي يندم على إخبارك بما لم يكن ينبغي أن تعرفه..

تنهدت في ضيق، قائلًا:

- حسن.. لقد انتهت هذه العطلة، وسأعود غدًا إلى (أدنبرة) فلا دخل لي بمشاريعكم المريبة..

قالت في حنان اوشكت أن أنسى مذاقه:

- لقد وعدتني أنك باق للأبد.. على الأقل تستطيع أن تظل معنا هذا الأسبوع ؛ لأن أبي لن يعود إلى (داندي) غدًا..

ثم مدت سبابتها إلى ذقني.. وأردفت:

- ثق بنا يا (رفعت).. ثق بنا.. هه!..

ساد الصمت بضع دقائق فيما عدا دقات الساعة..، نهضت ومضيت أسير في الغرفة واجمًا.. أذرعها هنا وهناك، حتى توقفت أمام لوحة زيتية شنيعة معلقة فوق المدفأة، تمثل راعيًا يعزف لحن حب لحبيبته... تأملت اللوحة هنيهة، ثم

استدرت..، وهنا تذكرت شيئًا... فعدت أتأمل اللوحة.. أن هناك آثار كف مرسومة بعناية، على معالم اللوحة.. كأن يدًا اعتادت ضغط اللوحة في هذا المكان، مما أدى بالعرق والاحتكاك إلى ذوبان بعض من الطبقة الزيتية عليها..

لم أتردد ومددت كفي إلى نفس الموضع.. وضغطت..

كان قابلًا للانضغاط.. وسرعان ما شعرت أن رافعة ميكانيكية من نوع ما تتحرك.. وبرغم الصدأ والقدم المخيم على الموضوع كله، انزاح الجدار الخلفي للمدفأة، محدثا صريرًا يؤلم الأسنان.. وتبدّى لي ما يشبه البئر الذي نحتت درجات في جداره..

نظرت لـ(ماجي) متسائلًا.. لكن نظراتها كانت صريحة في دهشتها.. لم تكن تعرف شيئًا عن هذا الباب السحري بالفعل..، فقلت لها:

. إنه شيء نمطي جدًا في القصور الاسكتلندية.. الباب السحري المؤدي إلى مخرج ما.. لكن هل يعرف أبوك به؟!

هزت رأسها في حيرة:

- لا أدري.. أنا أعرف أن هذا القصر مليء بالممرات السرية، لكني لم أر أحدها من قبل..، يا للغباء!.. لقد أمضيت كل حياتي أتساءل عن سر هذا الكف على اللوحة.. لكني لم أحاول أن أضغط عليها، ولا أعتقد أن أحد الخدم قد حاول... فقط بمنفضة الغبار بالطبع..

ابتسمت متشفيًا، ثم إنني نزعت جاكت الحلة الذي أرتديه، وانتزعت شمعة من الشمعدان الموجود فوق المدفأة، وأشعلتها بعود ثقاب.

- ولكن.. إلى أين تظن أنك ذاهب؟

قلت وأنا أدس بجسدي في المدفأة:

- سؤال غريب.. لست ذاهبًا إلى (ديزني لاند) على أي حال..

قالت مرتاعة وجسدها يرتجف:

- أليس من الحكمة أن تنتظر حتى نخبر (دادي)..؟!

نظرت إليها نظرة ذات معنى.. وقلت:

- يا ملاكي.. لست من هؤلاء الأشخاص أقوياء العزيمة، الذين يجدون ممرًا سريًا في قصر اسكتلندي عتيق، ثم يحجمون عن دخوله..، إن هذا أقوى مني..

صرخت في حدة:



ابتسمت متشفيًا ، ثم إننى نزعت جاكت الحُلّة الذى أرتديه ، وانتزعت شمعة من الشمعدان الموجود فوق المدفأة ، وأشعلتها بعود ثقاب ..

- انتظر..!.. سألحق بك.. يجب أن أتأكد أنك لن تموت..!

- ولكن..

وقبل أن أفهم كنا قد دخلنا البئر - أنا وهي - ننزل الدرجات الصخرية، وأنا أحاذر حتى لا يلتهم لهيب الشمعة أطراف ثوبها..، وكانت الدرجات قليلة لحسن الحظ..، وفي أسفل البئر كان هناك قبو طويل تفوح منه رائحة العطن.. و.....

كلانج..!!

ما هذا الصوت؟!.. وما سر الظلام الذي ساد القبو فجأة..؟ نظرت (ماجي) لأعلى، ثم قالت:

- لا شيء..!.. لقد انغلق الجدار الحجري خلفنا!

يا لي من مغفل!.. لقد كان الباب يفتح لفترة محدودة، ثم ينغلق بعدها.. لماذا لم أبقها في الخارج، أو أضع شيئًا يعوق انغلاق الجدار..؟!.. إنهم يتذكرون هذه التفاصيل دائمًا في السينما، لكنني لست بطل فيلم سينمائي، لهذا لم أكن مدربًا على هذه الأمور..!!.

والآن ها نحن أولاء واقفان في هذا القبو المجهول، ولا سلاح لدينا ولا مصدر ضوء سوى هذه الشمعة..!

- (ماجي) يا ملاكي.. أخشى أننا في مأزق حقيقي...

التمعت عيناها في الظلام على ضوء الشمعة.. وصفقت بيديها في مرح هاتفة:

- إنها أروع تجربة في حياتي..!.. تخيل أنا وأنت في هذا القبو المرعب.. معًا نتحسس الجدران ونرتجف.. ونمشي في الوحل بين جثث الفئران وعظام من سبقونا..، ثم يشتد بنا الجوع والظمأ.. عندئذ تتمزق أنت من أجلي.. وتخلع قميصك كي تسترني به من البرد..، ثم ينتهي بي الأمر وأموت بين ذراعيك..!

.. أليس هذا رائعًا؟!..

-.. يا لك من بلهاء تمامًا..!.. إن للنساء قدرة غير عادية على العثور على الرومانسية في مواقف لا تعني للرجال سوى مصيبة..

- ثم إنك تموت بعد ساعات حزنًا علي.. وتتحلل جثتانا، وبعد مئات الأعوام حين

يكتشف أحدهم هذا القبر، سيجد هيكلين عظميين متشابكي الأكف.. عندئذ يحاول فصلهما فيستحيلان إلى تراب!

قلت متهكمًا:

- نعم..!.. مثل (ازميرالدا) و(أحدب النوتردام)5!

- نعم.. هل قرأتها؟.. إنها مؤثرة إلى حد البكاء..

لم أعرف ما أفعله.. هل أخنقها، أم أمزقها، أم أكتفي بتوجيه لكمة إلى أسنانها؟ اكتفيت بأن قلت لها:

- لم يزل هناك بعض الوقت قبل هذه النهاية الرائعة، لهذا أرى أن نتحرك الآن.. هذا المكان ليس شاعريًا إلى درجة الموت..

قالت - وقد استعادت صوابها - وهي تنظر لأعلى:

- ولكن لابد أن هناك مخرجًا من هذه الجهة..

- هذا معقول.. إن من يبتكر طريقة للدخول، يبتكر طريقة للخروج..

وشرعت - أنا وهي - نتحسس حجارة الجدار حجرًا حجرًا، ونضغط على كل نتوء وكل حجر يتحرك..، وخبطنا بكعوب أحذيتنا على كل رقعة في الأرضية، وتسلقت السلم مرة أخرى كي أعيد استكشاف الجدار.. دون جدوى..!..

قالت (ماجي) وقد عادت الجدية لملامحها:

- لو بقينا في هذه المحاولات الخرقاء فسنموت حتمًا.. يبدو أنه لا مفر من السير في هذا الدهليز إلى آخره..

- ولكن الشمعة...

أخرجت منديلًا حريريًا من جيب ثوبها، ثم بللته بلعابها بأن كورته وحشرته في فمها بضع دقائق.. وقربت منه لهب الشمعة فأخذ يشتعل ببطء شديد بسبب البلل..

- هكذا.. والآن أطفئ شمعتك إلى حين الحاجة إليها.. قلت لها في انبهار:. من علمك هذه الطريقة؟!

قالت وهي تمسك المنديل المشتعل بطرف أناملها، وتضعه فوق قطعة عظم:

- في الحرب العالمية الأخيرة كانت ربات البيوت في لندن وباريس - توفيرًا للطاقة - يستعملن أوراق الجرائد المبتلة لإشعال الموقد.. وكانت جريدة واحدة تكفي لطهو وجبة لأسرة كاملة..!

كان عمري ثلاثة عشر عامًا وقتها..

- آه يا عزيزتي..!.. كيف أستطيع أن ألعب معك دور الرجل الذي يحمي، في حين يبدو لي أنك من ستتولين حمايتي؟!..

في صمت شققنا طريقنا فوق أرضية وعرة.. وكانت هناك فئران تمرح في حرية تامة..، وبقع ماء آسن على الأرض يبدو أنها نتجت عن تراكمات الرطوبة عمر القرون..

سأظل أذكر ما حييت مسيرتنا الواجمة، وهي تسبقني بخطوة حاملة المنديل المتوهج يلقي بظلال غامضة حولها -ولكم أخشى الظلال الغامضة! - كأنها قادمة من عالم آخر، تقودني إلى ما لم يره بشر قبلي..، هل كان (دانتي) يشعر بنفس شعوري، و(بياترس) تقوده في ظلمات العالم الآخر[6]؟!..

وهنا بدأنا نلمح ما توقعته هي في مزاحها من دقائق... عظامًا آدمية ملقاة في إهمال بين الصخور، مختلطة بعظام فئران.. لم أشأ أن أخبرها أن لهذا معنى واحدًا: أنه لا يوجد مخرج من هذا القبو..، وأن هؤلاء التعساء قد حاولوا قبلنا وفشلوا.. التهموا الفئران حية والتهمتهم الفئران أحياء..

لاشك أن هذا القبو كان سجنًا يلقى به أعداء الإقطاعي مالك هذه القلعة، حتى يتعفنوا أحياء..

لكن (ماجي) كانت ذكية.. ذكية إلى حد مرعب..

لهذا قالت لي في كآبة:

- (رفعت).. هل تعرف ما أظنه..؟

- نعم..

- إننا لن نخرج أحياء من هذا القبو..!

* * *

٧ - الورطة..

مشكلة أسلوب (المتكلم) الذي أستعمله في سرد قصصي، هو أنه يطمئن القارئ تلقائيًا على أنني سأنجو من كل مأزق أمر به، وإلا فما عشت كي أحكيه على لساني..!.. ولو كنت أكتب بضمير الغائب، على غرار: ذهب.. جرى.. خاف.. لما كان القارئ متأكدًا من سلامتي إلى هذا الحد...

نعم.. اعترف انني نجوت من كل مآزق حياتي، حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها.. وأعترف أنني لم أمت أبدًا حتى اليوم!..

لكن أي رعب وأي هلع مررت به في كل هذه الورطات

❋ ❋ ❋

خذ عندك على سبيل المثال..
مسيرتي في القبو المظلم خلف (ماجي) ولهب المنديل يتراقص.. وظلال غامضة تتلاعب فوق الجماجم المتناثرة هنا وهناك، كأنها تتحرك وتبتسم..
كيف تريدون مني أن أتوقع أننا سننجو..؟
كانت المشاهد تتشابه.. ولابد أننا سرنا مسافة كيلومتر كامل في هذا القبو الأبدي، حين توقفت (ماجي) هامسة وهي تلهث:
- لن أستطيع السير أكثر.. وجلست على الأرض بفستانها الأنيق، وخلعت حذاءها..
- إنني أموت من البرد برغم أننا في شهر يوليو..
- هذا بسبب الرطوبة...

وجلست بجوارها على الأرض وخلعت قميصي ووضعته فوق كتفيها، وأنا أقول في تشف:

- رومانسي.. أليس كذلك؟!

- اخرس..!

ثم قالت في تقزز من بين أسنانها:

- سيكون علينا أن نتعلم أكل الفئران...

ارتجفت من هول الفكرة.. فقلت مبتلعًا ريقي:

- أفضل الانتظار أسبوعًا دون أكل، حتى أستطيع تقبل الفكرة..!

قالت وكأنها تبصق:

- لو لم تتحامق وتدخل ذلك الباب السرى اللعين لما كنا هنا..

- ولو لم تتبعيني في غباء لكنت أنقذتني.

قالت وهي تتكور حول نفسها كالقطة وتلتصق بي:

- سننتظر هنا حتى الصباح.. أطفئ هذا المنديل؛ لأننا لن نحتاجه مؤقتًا.. أرجو أن يكون معك ما يكفي من الثقاب..

- بالطبع عدد قليل جدًا.. القصة دائمًا هكذا..، إن الأشخاص الذين يملكون علب ثقاب مليئة، لا يضلون طريقهم في ممرات مظلمة أبدًا..

- يا لك من نحس..!

أطفأت المنديل وتكورت حول نفسي، وشرعت أدندن.. أدندن بصوت خفيض نشاز أغنية عربية حزينة..، وفي الظلام سمعت صوت تنفسها المنتظم بجواري...

لقد نامت البائسة..

*   *   *

حين استيقظنا، كانت العقارب الفوسفورية لساعتي تشير إلى التاسعة صباحًا.. وكانت جالسة تتخلل خصلات شعرها المبعثرة بأناملها، في محاولة لتنسيق شعرها بشكل ما.. ابتسمت في سخرية وقلت:

- ها هي ذي (حسناء الجب) تبدأ يومها..!

قالت والنوم لم يفارق صوتها:

- إذا كان شكلي عند الاستيقاظ يشابه شكلك الآن أيها المتشرد، فإنني أرى ألا نتزوج أبدًا..! ما ذنب أطفالنا كي يروا آباءهم مرعبين هكذا..؟

كدت أرد برد لاذع، لولا أنني لاحظت شيئًا.. فصحت من فوري:

- (ماجي)!.. هل لاحظت؟.. لقد رأيتك ورأيتني!؟.. إن الظلام قد صار أقل كثافة في النهار.. أمس لم أكن أرى يدي نفسها..

- وهذا يعني...

- أن هناك نورًا يدخل هذا القبو من مكان ما.. صحيح أنه لم يزل ضعيفًا جدًا لكنه موجود.. وسنجده..!

وهكذا - ودون إفطار ودون غسيل وجه - نهضنا في ثقة وواصلنا مسيرتنا دون حاجة لإشعال شيء..، لم يكن هناك شك في أن النور يتزايد في كل خطوة نخطوها للأمام...

وفجأة قابلنا ما لم نعمل حسابه بعد.. الممر يتفرع إلى ثلاثة مرات أكثر ضيقًا وكلها يغمرها نفس الضوء الخافت.. يا لها

من مشكلة..!..، اخترنا الممر الأوسط.. وسرنا معه بعض الوقت، فوجدناه يتفرع إلى ممرين... هنا أمسكت بيدها كي أمنعها من الاستمرار، وقلت:

- كلا.. إن الأمر يتحول إلى متاهة حقيقية سنضيع فيها للأبد.. يجب أن نكون منظمين..

أولًا سنتبع أسلوب (ثيذيوس) الشهير..

- ومن هو؟!..

- إنه البطل الإغريقي، الذي دخل المتاهة (لابيرينث) في جزيرة كريت كي يقتل (المينوطور) ذلك الوحش الذي كان نصفه العلوي الثور، والسفلي لإنسان... لقد ربط (ثيذيوس) خيطًا في بوابة المتاهة كي

يعرف دائمًا النقطة التي يعود إليها.. وبهذا لم ينته كمن سبقوه..

سنرسم على الجدران - حفرًا- خطوطًا تحدد لنا الممرات التي مررنا بها.

ثانيًا - يجب أن ننفصل ليستكشف كل منا فرعًا من هذين الفرعين على حدة، على أن نلتقي هنا بعد ساعتين مهما كانت الظروف..

قالت (ماجي):

- وليعمل من يجد مخرجًا على أن يرسم في أثناء عودته خطوطًا متعرجة كي تختلف عن أية خطوط رسمها في ممرات أخرى

- فليكن.. ناوليني قلمي من جيب القميص.

وكسرت قلمي نصفين يصلحان للحفر في الجدران، وناولتها نصفًا.. ثم تمنيت لها حظًا سعيدًا وافترقنا..

الآن يجب أن أسرع.. لقد اخترت الممر الأيمن الذي قادني إلى ممرين اخرين.. اخترت الأيمن، وسرت وراءه بعض الوقت، إلى أن وجدته مسدودًا بجدار صخري..

عدت أدراجي لنقطة التفرع، واخترت الممر الأيسر.. وسرت فيه دقائق إلى أن وصلت لنقطة يتفرع فيها إلى ثلاث ممرات.. فاخترت الأوسط.. وهكذا.. تستطيع أن تتخيل تعقيد ما قمت به.. إنه أمر منهك على الورق، فما بالك به وأنت تمشي طيلة الوقت فوق صخور مدببة..

وأنفاسك تتلاحق... وطرف القلم المكسور يدمي أناملك؟!..

ترى أي عقل سادي مخبول صمم هذه الممرات؟!

مضى نصف الساعة وأنا في هذه المتاهة.. وفجأة لمحت.. لمحت أثار أقدام.. أقدام واضحة فوق الغبار الطري، الذي بدأ يغلف الصخور..!.. أقدام ليست لي ولا لـ(ماجي) لأنها كبيرة جًدا.

وبدأت أتتبع الأقدام - دون أن أنسى رسم علاماتي - وقلبي يرتجف.. لا يمكن أن تكون آثار أقدام أحد هؤلاء الموتى المتحللين، لأنها حديثة وطرية وصاحبها يرتدي حذاءًا عصريًا..

النور يزداد.. ويزداد..

وأخيرًا..!

ها هي ذي ضالتي..!.. نافذة مفتوحة في الصخر، مسدودة بقضبان من الصلب - نشرها أحدهم لحسن الحظ - ومنها يخرج النور الذي رأيته داخلًا القبو الكثيب..

اقتربت من النافذة لأرى ما تطل عليه.. وعبر الفتحة الصخرية كان رذاذ الماء يتناثر.. إنها بحيرة (لوخ نس) الغافية أمامي في شمس الصباح البهيجة، كأجمل ما رأته عيناي..، وأسفل النافذة كانت هناك صخور الشاطئ.. وعلى مسافة ما كانت صخرة كئيبة المنظر، تقف وحدها وسط الأمواج، دون أن تعبأ بها ولا بي..

وعلى الصخرة كان هناك عمود خشبي قديم، تتدلى منه حبال ليفية.. لم يكن من

الصعب أن أعرف أن هذه هي صخرة الفداء، التي كلمني السير (جيمس) عنها بالأمس.. بالأمس؟.. هل كان ذلك بالأمس فقط؟!..

على كل حال لقد وجدت ضالتي، ولم يعد أمامي سوى أن أعود أدراجي مع رسم خطوط متعرجة فوق تلك المستقيمة التي رسمتها عند مجيئي، وأنتظر (ماجي) عند نقطة التفرع الأولى.. ثم نرحل معًا من هذا المكان..

وصلت للنقطة التي بدأت منها، وقد قاربت الساعة الحادية عشرة..

وجلست على الأرض أنتظر (ماجي) وأنا أدندن تلك الأغنية العربية الحزينة، وأفكر في معنى هذا الذي وصلت إليه..

من الواضح أن هذا الممر كان مسدودًا تمامًا بتلك القضبان الكريهة، وكان قبرًا حقيقيًا لمن يقذفه الحظ العاثر فيه.. ثم جاء ذلك الرجل (الخيّر) الذي أزال القضبان، ليمنح نفسه فرصة الخروج والدخول إلى القصر وقتما شاء، وليتمكن من الوصول إلى لوخ نس بسهولة وسرية.. غير عالم بالطبع أنه يمنحنا فرصة الحياة..

من هو ذلك الشخص؟.. وما غرضه؟.. لا أدري، ولا يعنيني أن أدري في الوقت الحالي..

ولكن...

لقد جرفتني خواطري خلفها، وفاتني أن الوقت قد مر سريعًا.. الساعة الآن الحادية عشرة والنصف ولم تعد (ماجي)... هل

ممراتها متشعبة إلى هذا الحد أم أنها قد نسيت رسم العلامات بحماقة... أم أنها لاقت خطرًا ما - حفرة أو صخرة منهارة - أخرتها عني؟!

ثعابين القلق تنهش قلبي..، ولم يكن هناك بد من أن أتبعها..

نهضت من مكاني وبدأت أسير في حذر في الممر الذي اختارته، وكانت خطوطها دقيقة واضحة ومنظمة على الجدار، حتى أنني تخيلت يدها البلورية وهي تخطها منذ ساعتين.. حنين غريب يبعث على التشاؤم يغزو روحي تجاه تلك الخطوط، كأن من رسمتها لن تعود..

كانت الشبكة معقدة بالفعل، لكني سرت وراء الخطوط التي لم تتوقف.. ولكن..

هل أنا أتخيل..؟

كلا.. إن قطرات الدم المتساقطة على الأرض هذه، لا يمكن إلا أن تكون حقيقة!!...

إنه دم (ماجي)..

* * *

٨ - نهاية لغز..

(ماجي) يا ملاكي!.. أقسم أنني سأمزقهم جميعًا.... سأذبحهم وسأنثر أشلاءهم في

بحر الشمال، كي تتلذذ بها الوحوش الغامضة جميعًا..

شرعت ألهث وأنا أجري خلف آثار الخطوط التي تركتها.. وقطرات الدم التي تظهر حينًا وتختفي أحيانًا.. أفكاري مضطربة والهلع يشلني.. وأنا ألهث من بين أسناني بعبارات السباب والتهديد (لهم)، وأنا لا أدري من (هم) بالضبط.. كنت أريد أي شيء أصب عليه غضبي، فلم أجد خيرًا من أن أوجد أشخاصًا وهميين لا وجود لهم كي ألومهم..

خطواتي تتسارع.. عضلاتي تتقلص.. أنفاسي تضيق..

سأجدها ميتة بلا شك في أية لحظة عند أقدامي.. وسأنحني فوقها وأريح رأسها

على ركبتي، فتقول لي شيئًا ما لا أتبينه.. ثم تدير وجهها وتموت!

آه..!.. إن تخيل هذا المنظر يجعلني أجن!!..

وتتسارع خطواتي ودقات قلبي..

،وهنا اصطدمت بشيء.. وسقطنا على الأرض معًا.. نهضت مستعدًا للقتال لكني وجدتها هي.. (ماجي)..!.. شرعت أصرخ في هستيريا والدموع تتسارع إلى عيني، وحاولت أن أفسر لها.. إلا أنها قالت في ملاطفة كما نحدث حصانًا جامحًا:

- هيه..!.. لا شيء!.. لا تخف يا صغيري..!.. لم يحدث شيء..

وأشارت إلى يدها المربوطة بقطعة من قميصي الذي ترتديه:

- لقد جرحت يدي بقلمك المكسور... هذا كل ما هنالك.. هيا.. اهدأ...

وهنا - أخجل من الاعتراف - انهارت أعصابي تمامًا فشرعت أبكي كطفل.. مما أصابها بالذهول.. شرعت تربت فوق كتفي بحنان.. ذلك الحنان الذي لا تمنحه سوى امرأة، ولا يفهمه سوى رجل..، إنهن أمهاتنا هؤلاء النساء.. ولسنا - مهما كبرنا - سوى أطفال شديدي التعاسة، خرجنا لتونا من أرحامهن...

- هيا..!.. لا تخش شيئًا..!.. كل شيء سيكون على ما يرام... ابك!.. ابك!.. ستشعر أنك أفضل..

وبعد أن زالت العاصفة، وبدأت أهدأ شرعت أحكي لها ما فعلته طيلة الساعتين،

وأنني وجدت المخرج، وأنني ظننتها قتلت أو جرحت، وأنني... أحبها كما لم أحب أحدًا في حياتي!

قالت لي في لهجة عملية:

- كل هذا جميل.. لكن هناك اكتشافًا أكثر غرابة وأهمية وجدته أنا.. تعال معي ولكن أولًا..

ومدت إلى يدها بقطعة قماش مزقتها من قميصي الذي ترتديه.. وقالت:

- تمخط أولًا.. لا أحب الأطفال الذين يتدلى المخاط على أنوفهم..!

- حسن.. فففف!!

- هكذا..

وفي صمت سرت خلفها في ذلك الممر الضيق الغريب.. لقد بدأ يتسع.. ويتسع..

ثم.. وجدت نفسي في غرفة كبيرة حجرية مضاءة بشكل جيد...

هل تعرف منظر غرفة دفن الفرعون في الهرم الأكبر..؟.. إنك إذا كنت تعرفها، فقد وفرت علي مجهود وصف تلك الغرفة.. أما إذا لم تكن قد رأيتها، فتلك مشكلتك.. إنني منفعل ولن أستطيع أن أتكلم كثيرًا...

في ركن من الغرفة كانت هناك.. واقفة مصلوبة إلى الجدار، تلك الفتاة الشقراء التي لا يمكن أن تكون إنجليزية..، وكانت منهكة تمامًا وعلامات ضرب مبرح على وجهها..، قالت (ماجي) في فخر:

- هو ذا اكتشافي...



فى ركن من الغرفة كانت هناك .. واقفة مصلوبة إلى الجدار ، تلك الفتاة الشقراء التى لا يمكن أن تكون إنجليزية ..

ثم انحنت تجاه الفتاة كأنها تقدم أحدنا للأخر في حفل تعارف:

- أقدم لك الآنسة (إيريكا سجفريد) القربان القادم لوحش (لوخ نس)..!

أصابني الذهول.. إلا أنني بدأت أفهم ما هنالك.. لهذا التفت نحو الفتاة المقيدة، وسألتها وقد أعطاني رنين اسمها فكرة معينة:

- هل أنت دانماركية؟!..

خرج صوتها محشرجًا.. وبإنجليزية كسيحة قالت:

- أنا نرويجية.. أدرس الأدب الإنجليزي في أدنبرة..

صاحت (ماجي) في حماسة:

- هل ترى؟.. شقراء ومن أصل اسكندنافي.. اختطفها ذلك السفاح إلى هنا.. وقيدها.. وأطعمها انتظارًا لموعد الفداء.. و...

بضيق قاطعتها:

- ألا ترين تأجيل هذه المحاضرة، حتى نفك قيود هذه التعسة؟.. لماذا لم تفعلي ذلك؟..

قالت في بساطة:

- ليس معي أداة تصلح لفك هذه السلاسل أولًا.. ثم ان يدي مجروحة.. هل نسيت؟!

ثم ربتت على عضلاتي الهزيلة في سرور:

- والآن لنر ما سيفعله (بطلي) مع هذه القيود.. هيا.. فلنر..

احتقن وجهي وشرعت أحاول فك هذه السلاسل دون جدوى.. كل ما سأفعله هو تمزيق معصمي هذه البائسة، التي أخذت تضغط على أسنانها وتئن...

وبعد عشر دقائق كنت قد انتهيت تمامًا.. تمزقت كفاي وسال الدم منهما، من ثم أطرقت برأسي خجلًا معلنًا ألا جدوى..

- دعني أحاول أنا..

ومدت (ماجي) سن القلم الحبر في قفل السلسلة، وشرعت تعبث هنا وهناك، حتى.. كليك!.. انفتحت حلقة القفل في سلاسة.. وشرعت تفك السلسلة عن عنق

ومعصى الفتاة النرويجية، وهي ترمقني بتشف، قائلة:

- ليس في جعبتك سوى القوة الغاشمة.. وليتها تجدي!

جلست الفتاة منهارة على الأرض، وشرعت تحكي قصتها..

إنها - كما قلت انفًا - طالبة لغات في (أدنبرة)، وقد تعرفت شابًا من أصل نرويجي، قال إنه يدرس الطب هناك، ودعاها إلى بيته، ثم إنه اختطفها بعد أن خدرها.. ونقلها إلى هنا.. وحين أفاقت، وجدت نفسها مقيدة في هذا الوضع، وأنه كان يطعمها بانتظام.. وينصحها أن تعد روحها للفداء الأعظم، الذي يليق بأرواح أسلافها، والذي سيتم بعد أسبوعين حين

تمنح جسدها - سعيد الحظ - كي يلتهمه وحش (لوخ نس)..

- وهل كان موجودا معك بانتظام..؟

- كلا.. كنت أراه مرتين في اليوم خارجًا من ظلمات القبو.. لا أدري من أين يجيء وإلى أين يذهب..

قالت (ماجي) في تهكم:

- وهل هذا سؤال؟!.. بالطبع يجيء من غرفة الجلوس في قصر أبي وإليها يعود.. لابد أنه كان يزورك في الفجر وعند منتصف الليل، حين يخلو القصر من أصحاب الأسئلة المحرجة...

قلت ل (ماجي):

- هل تظنين نلك؟.. وكيف كان يدخل القصر؟

- إنه لم يحتج قط لدخول القصر..
- ماذا تعنين؟..
- أعني أنه كان هناك دائمًا.. أعتقد يا حبيبتي (إيريكا) أن هذا الرجل كان أزرق العينين، له شارب أصفر كث، وشعر أشقر طويل.. باختصار مثل الفايكنج كما نراهم في القصص المصورة.
- بالفعل.. واسمه (آنفريد)... (آنفريد هولثروب)..
- إنه لخادم عندنا في القصر.. وكان يأخذ إجازات كثيرة، يزور فيها (إدنبرة)..
- ولابد أنه كان ينصب شباكه حولك، وحول تلك التعسة (جوسلين)...
قلت لها في حيرة:

- وما الذي يجعل عندكم خادمًا نرويجيًا..؟

- وماذا في ذلك؟.. إنه مهذب ومنظم، ويتحدث إنجليزية راقية جدًا.. وكان أبي يحب طابع وجهه الاسكندنافي كثيرًا..

قلت لها:

- إن الخيوط تتجمع الآن..

ان هذا الخادم كان يعمل عندكم.. وفي ذات ليلة سمع محاورة بين أبيك والمرحوم (جولد) عن وحش (لوخ نس) الذي كان الفايكنج يقدمون له القرابين.. ثم يرى البوق والقلادة والخريطة إياها..

عندئذ يبدأ هذا الخادم يتبدل.. إننا لانعرف الظروف ولا الملابسات التي أدت لتحوله.. هل هو اعتزاز مجنون

بقوميته..؟.. هل هي معتقدات وثنية تحركت في عقله الباطن؟.. هل هي رغبة في العبث؟.. هل هي رغبة في التميز؟.. لن نعرف أبدًا إلا منه...

المهم أن الفكرة اختمرت في عقله..، وهكذا.. يسرق البوق والقلادة، ويصمم على استغلال هذا النفق السري - الذي وجده بالصدفة - في مهمته الرهيبة..

لقد كان أذكى منا حين دخل هذا النفق أول مرة.. ولم ينس أن يؤمن الباب خلفه.. ثم أدرك أن النفق يوصله لقرب صخرة الفداء.. عندئذ يقوم بنشر القضبان التي تسد النفق لتوفر له مخرجًا دائمًا.. ويبدأ في خطف الفتيات الشقراوات، اللواتي ينتمين إلى نفس سلالته.. ويحبسهن هنا..

إن النزعة الدرامية في دمه، جعلته يعتقد أن وحش (لوخ نس) لن يلتهم سوى نفس نوع الضحايا اللواتي كان يلتهمهن في الماضي.. الاسكندنافيات..

حفيدات غزاة الشمال..

وحين تأتي اللحظة - حسب حساباته - يقيد الفتاة للصخرة، ويقف عند قلعة (إيركهارت) وينفخ في البوق..

عندئذ يخرج الوحش - الذي تذكر نداء الطعام القديم - ليمارس باقي عمله وتنتهي المأساة..

إنك قد ولدت من جديد يا آنسة (سيجفريد)..

تهانفت الفتاة.. وأخذت ترتجف.. وتقول بين دموعها:

- لقد كان شنيعًا.. كان يأتيني وهو يردد أبيات شعر بلغة لا أعرفها.. ويدس أطعمة غريبة المذاق في فمي..، ثم يؤدي صلوات عجيبة، ويجبرني على أن أرددها معه.. فإذا رفضت صفعني..

- إنه كان يعد روحك للتضحية الكبرى..

قالت (ماجي) في عصبية:

- والآن لنخرج من هذا القبر المرعب.. لابد أن (دادي) سيموت قلقًا علينا.. ثم إن علينا أن نجد هذا السفاح قبل أن يشعر بشيء..

ثم نظرت للفتاة في حنان:

- هل تستطيعين السير معنا يا حبيبتي؟

- لا.. إن قدمي ميتتان تمامًا.. لم أحركهما منذ زمن..

أشارت إلي (ماجي) وغمزت بعينها نحو الفتاة..، اقتربت منها، وهمست في أذنها:

- (ماجي) لا تقولي إنك تريدين أن أحملها..؟!

- ولم لا..؟.. أنت رجلنا الوحيد للأسف..

- ولكنها ثقيلة كالحوت.. لماذا لا تصدقين أنني لست (طرزان)!.. في الأفلام الرديئة فقط يكون هناك رجل مفتول العضلات، عريض المنكبين، يجيد توجيه اللكمات وفك السلاسل، ومصارعة الدببة، وحمل الفتيات اللواتي لا يستطعن المشي..

- (رفعت)!.. احملها..!

- حسن..

وهكذا حملت الفتاة ومضيت بها أترنح، و(ماجي) تسير خلفنا.. على هدى

العلامات التي رسمتها هي حتى نقطة التلاقي.. ثم على هدى الخطوط المتعرجة التي رسمتها أنا، حتى النافذة الحجرية..، ولم يكن صعبًا النزول على الصخور ومعنا الفتاة..

كان بحر (لوخ نس) متلاطم الأمواج.. ومن بعيد لاحت لأعيننا الصخرة المشئومة إياها.. أشارت إليها (ماجي) ونظرت إلى الفتاة نظرة معناها: هل رأيت ما كان ينتظرك؟..

ارتجفت الفتاة وتصلبت أصابعها على ذراعي..

لقد ربحنا المعركة، ولكن هل نربح الحرب أيضًا؟!

❋ ❋ ❋

٩ - إيوان فريزر..

كانت وجبة طعام شهية، تلك التي قدمها لنا السير (جيمس) بعد خروجنا من القبو، وكانت (إيريكا) المسكينة تلتهم الطعام كالمسعورين، في حين أخذت (ماجي) تعبث في الزبد بسكين الطعام، راسمة أشكالًا ما على حافة طبقها.. كانت شاردة الذهن تمامًا.

قال السير (جيمس) وهو يشعل سيجارًا:

- كلوا هنيئًا.. إنكم قد نجوتم بأعجوبة..

قلت وفمي مليء بالطعام:

- غريب أنك لم تعرف شيئًا عن هذا النفق.

- هذا طبيعي.. إن مخطوطات أسرتنا تتحدث عن عشرة أنفاق أخرى.. ولم تحدد أماكنها، كما أنها لم تتحدث عن كنز مدفون في أحدها، فعلام أضيع وقتي إذن..؟

رفعت (ماجي) رأسها عن الطبق كمن تذكرت شيئًا ما:

- دادي.. أين ذهب (آنفريد)؟

هز السير (جيمس) رأسه في ضيق.. ونفث الدخان من فمه:

- لم نجده.. فر الوغد ليلة أمس..

قلت في حيرة:

- ولكن كيف عرف أننا كشفنا أمره؟!

- أنا...

قالتها (ماجي) في شيء من الخجل.. ثم مدت يدها إلى جيبها وأخرجت شيئًا..

بطاقة صغيرة من الورق المقوى..، وقالت:
- لقد لاحظتها بالأمس عند نزولنا النفق.. لكني لم أعبأ بها..
آه!.. إنها تلك الحيلة القديمة.. لقد دسّ الوغد هذه البطاقة في شق الحائط، حتى إذا فتح أحدهم الباب، سقطت البطاقة.. عندئذ إذا أراد دخول النفق، ولم يجد البطاقة، يدرك أن أحدهم اكتشف النفق والفتاة..
لهذا لم يقدم العشاء ل (إيريكا) أمس.. كان على وشك نزول النفق حاملاً عشاءها، حين وجد أن الورقة غير موجودة.. عندئذ عرف أن أمره انكشف وولّى الأدبار...

قالت (ماجي):
- ولكن.. ما الذي سنفعله الآن..؟!
أحنى السير (جيمس) رأسه مفكرًا.. وبغموض تمتم:
- هو لن يكف عن المحاولة.. لم يزل معه البوق والقلادة والحلم المخبول..
- إذن نبلغ البوليس ليراقب الصخرة..
تفكر حينًا، ثم قال:
- كلا.. ثمة فكرة أفضل...
قلت وأنا التقط آخر قطعة لحم على المائدة، وأقذفها في فمي:
- هذا خبر طيب.. فإن رأسي يكاد ينفجر من الأفكار غير الجيدة..
قال السير (جيمس) في غموض:

- سأعرفكما الليلة على شخص نادر من نوعه...

* * *

قال (إيوان فريزر):

- إن عدد المعتوهين في هذا العالم قد فاق تعداد البشرية نفسها..!

هز السير (جيمس) رأسه موافقًا، وقد بدا لي أنه لم يفطن إلى ما في هذه العبارة من إهانة مستترة للجميع بما فيهم هو نفسه..

واصل (فريزر) كلامه:

- خذ عندك هذا المعتوه (آنفريد) الذي يعتقد أن كرامة أسلافه، تتوقف على إلقاء الفتيات ليمزقهن هذا الوحش..

كان (إيوان فريزر) رجلًا قوي العضلات، أسمر البشرة، له لحية شقراء مشعثة، وخصلات ثائرة تحيط برأسه.. وكانت نظراته وقحة وصارمة إلى حد مزعج.. وكان يأكل في عصبية لا مبرر لها..

في وجبة العشاء، قدمه لنا السير (جيمس) على أنه صديق قديم، وأنه يجيد كل فنون الصيد.. لقد كان صياد أسماك قرش يومًا ما..

- صياد أسماك قرش؟

-.. وحيتان..

- وحيتان؟..

- ونمور...

قال السير (جيمس) في انبهار كالأطفال:

- لقد اصطاد التماسيح..، وذهب للهند من أجل النمور..، واصطاد الأفيال في إفريقيا، قبل أن تحرم السلطات صيدها..

... نقر (إيوان) بإبهامه على صدره في فخر.. وقال:

- الواقع أنني لم أترك شيئًا يمكن صيده إلا وحاولت..

ثم بدأ يحكي لنا بعض القصص عن صولات وجولاته في أحراش إفريقيا، وحقول السافانا، وأعالي البحار..

لقد اصطاد كل شيء من العصافير حتى الحيتان، وإن خبرته بالأسلحة والمقذوفات النارية لا تقدر بثمن..

وأنا لست غيورًا..

لم أكن أبدًا من هؤلاء الذين يحبون ألا ينصب الاهتمام على سواهم.. إلا أنني شعرت بغصة في حلقي وأنا أرى علامات الانبهار على وجه (ماجي)، وهي تشرب كل كلمة وكل حرف من كلماته.. لقد حملها معه بكلماته إلى حوض الأمازون، وإلى غابات الكونغو وسهول الصين.. وكانت تحلم..

لست غيورًا أبدًا..

لكني أمقت أمثال هذا الوحش السادي، الذي يستمتع بتعذيب مخلوقات الله الجميلة..، فلا ينام قرير العين، إلا بعد أن يتأكد أن حيوانًا آخر لن يرى الشمس غدًا..

و... (ماجي) تحب هذا..

كان يقول:

- إن هذا الوغد (آنفريد) يستحق أن يمزق برصاصة.. ثم تسحق جثته.. وتقدم لطعام الكلاب في حديقة داري..!

حتى في حماسته للخير يبدو شريرًا كالشيطان ذاته..

كيف لم تلحظ (ماجي) والسير (جيمس) هذا؟!..

انحنيت نحو (ماجي) وهمست في أذنها:

- لماذا أحضر أبوك هذا السفاح ها هنا؟!

لم ترد لأنها كانت منصتة له، وقد التمعت عيناها، وانفرجت شفتاها قليلًا:

- (ماجي)..!

التفتت إلى في حيرة كأنني أيقظتها من حلم رائع.. وتساءلت:

- ماذا؟!

- لماذا أحضر أبوك هذا السفاح هنا؟
همست في ضيق:
- أعتقد أنه لا يوجد سوى تفسير واحد، ولا أظنك بهذا الغباء.. والآن دعني أصغ، لأن كلامه يثير اهتمامي بالفعل...
ثم عادت تصغي لكلماته بكل جوارحها..
ارتشفت كوب العصير الذي كان أمامي، وأنا أشعر أن كل ما في الكون من عصائر لن ينجح في إطفاء ظمئي، وإزالة المرارة في حلقي..
وانتهى العشاء..
مسح (إيوان) فمه بالمنشفة في فظاظة.. ثم أعلن أنه يجب أن ينصرف، على أن يعود باكرًا لمناقشة (الأعمال) كما قال..، وصافح السير (جيمس) وصافحني - بيد

كأنها منحوتة من صخر - ثم تناول يد (ماجي).. وانحنى يطبع عليها قبلة وعيناه لا تفارقان عينيها..

ثم إنه انحنى، وانصرف..

قلت للسير (جيمس) في رعب بمجرد أن انغلق الباب:

- سير (جيمس).. لا تقل إنك ستتفق مع هذا الحيوان، على قتل وحش (لوخ نس)؟!

هز كتفيه في لامبالاة، وقال:

- إننا لم نتفق على شيء بعد، لكن قتل الوحش هو ما أريده منه فعلًا...

- ولماذا؟!..

نظر إلى في دهشة:

- هل لديك حل آخر؟!.

- نعم.. ما شأننا نحن بكل هذا؟!.. لم لا نبلغ البوليس وينتهي الأمر..؟

وضع يده على كتفي في صبر كأنه يعظ خاطئًا في محراب، وقال:

- يا بني.. إن قتل الوحش يعطينا فرصتين.. عصفورين بحجر واحد..، أولا هو سينهي سلسلة القرابين التي لابد أنها ستستمر طالما ظل (هولثروب) طليقًا.. ثم إنه سيحقق حلمنا العتيد.. ستكون لدينا جثة (لوخ نس) كاملة سليمة، كي يراها العالم ويشرحها العلماء ويحنطها أصحاب متحف التاريخ الطبيعي..

إن (فريزر) سيقدم لي مجدى العلمي - وثمرة صراعاتنا - على طبق من ذهب..

- ولكن - حتى إذا قبلنا هذا - كيف يستطيع قتله؟!

- تلك هي مشكلته..

ثم ابتسم وغمز لي وهو يخرج من القاعة:

- وثق بأنه سيجد لها مخرجًا..!

* * *

لم أحاول أن أجادل كثيرًا، لكني كنت أومن بأن وحش (لوخ نس) يستحق حياته، بعد أن عاش ثمانية قرون حرًا طليقًا، تمر به الأجيال..، ثم إنه ليس شريرًا أكثر من أسد لا يأكل سوى اللحم، ولا ذنب له في ذلك.. إذا ألقى أحدهم بإنسان إلى هذا الأسد والتهمه... عندئذ هل نعاقب الأسد أم

المجرم الذي هيأ له ظروف الافتراس كاملة؟!

على أن هذا كله كان سابقا لأوانه، لأني أشك في أن يكون هذا المدعي قادرًا على إيذاء ما هو أكثر شراسة من الأرانب البرية..

إنهم يحاولون صيد هذا الوحش منذ عام ١٩٣٣.. وكلهم فشلوا.. فما الذي يجيد (إيوان فريزر) عمله، ويعجز عنه كل هؤلاء الذين سبقوه؟!

❋ ❋ ❋

في الصباح ذهبت ل (ماجي) في حجرتها..

كانت الحجرة مفتوحة.. وعلى المنضدة جلست (ماجي) وحول أذنيها شيء يشابه جهاز (الهيدفون).. وأمامها أدوات نحت كاملة.. ومجموعة معقدة من الأسلاك، وجهاز مكروفون معلق على بعد سنتيمترات من فمها..

وكان هناك جهاز معقد، يشابه أجهزة رسم القلب، يخرج منه شريط طويل من الورق، عليه خطوط متعرجة، وبجواره ترموس قهوة وكوب نصف مليء..

وما أن رأتني حتى رفعت كفها محيية دون كلام..



كانت الحجرة مفتوحة .. وعلى المنضدة جلست (ماجى) وحول أذنيها شيء يُشابه جهاز (الهيدفون) ..

قلت في فضول:..

- (ماجي).. ما هذا ال....

فأوقفتني بنظرة من عينيها.. وأشارت - بعتاب - إلى شريط الورق الذي أخذ يتحرك خارجًا من ذلك الجهاز، وعليه خطوط كثيرة متعرجة ومتكسرة..

الآن فهمت...

إنها تجرب جهازًا معقدًا يحول ذبذبات الصوت إلى رسوم (فونوجرام)، يسهل تحليلها وقياسها.. ولكن ما جدوى هذه التجربة، وما الذي يدفعها في هذا الوقت لكي تتذكر أنها فيزيائية؟

وهنا رأيتها تتناول شيئًا طويلًا أبيض كالبوق، وتقربه من فيها ثم تنفخ فيه أمام الميكروفون.. لا شيء لا صوت..

إلا أن الشريط أخذ يزحف خارجًا من الجهاز، وقد امتلأ بالخطوط المتلاصقة..

مدت يدها إلى زر بالجهاز وأطفأته، ثم نزعت (الهيدفون) عن رأسها وهي تتنهد الصعداء.. ثم صبت لنفسها بعض القهوة في الكوب، وناولتني الترموس وكوبًا آخر:

- اشرب!.. ساعد نفسك لأني مشغولة..

قلت وأنا أجلس، وقد فهمت أن (حظر السؤال) قد انتهى:

- لا أريد.. والآن ما الذي تفعلين؟

- كما ترى..

أمسكت بالبوق الذي صنعته بين أناملي، وتأملته معجبًا:

- إنه جيد الصنع.

- شكرًا.. احترس حتى لا تتعثر في هذه الأسلاك..

- من أين جئت بالعاج الذي قمت بنحته..؟

- إنها قطعة أعطانيها (إيوان فريزر) أمس..

- يا له من لطيف!

قصت (ماجي) قطعة الورق المرسومة عليها الخطوط الأخيرة.. ثم نهضت واتجهت إلى قطعة من الورق الشفاف، مرسومة عليها خطوط مماثلة، معلقة

بجوار فراشها.. ووضعت القطعتين فوق بعضهما..

- ما رأيك؟!

كانت الخطوط المتعرجة تتطابق تمامًا في الورقتين.. لكني لم أفهم شيئًا.. لهذا سألتها في حيرة:

- رائع.. ولكن ما معنى هذا؟

فأفهمتني في حماسة: أن الورقة الشفافة تحوي ذبذبات الصوت، التي كان يحدثها البوق القديم المسروق - بوق الفايكنج - أما الورقة الأخرى، فتحوي ذبذبات بوقي الذي قضيت الليل أنحته، محاولة الوصول إلى تردد وطول موجاته..

إنهما يتطابقان تمامًا..

ثم قالت في فخر:

- إن هذا يعني أنها أعادت صنع البوق الذي يستدعون به وحش (لوخ نس).

- ولكن لا صوت له على الإطلاق..

- كلا.. إنها ذبذبات ذات تردد عال جدًا يفوق قدرات الأذن البشرية، لكن آذانًا أخرى تسمعها.. مثل صفارات الكلاب تمامًا..

إن وحش (لوخ نس) يعرف هذه الذبذبة وينتظرها..

- لو كان هذا صحيحًا لاقتحم علينا الغرفة الآن، وهو يبصبص بذيله كالكلاب.. فلابد أنك نفخت في هذا البوق عشرات المرات..

ضربتني بقبضتها في كتفي بدلال، صائحة:

- لا تكن سخيفًا.. إن مدى صوت هذا البوق لن يصل للبحيرة إلا إذا نفخنا فيه عند قلعة (إيركهارت)...

وتأملت البوق في انبهار شديد.. انبهار المثال بتمثال رائع انتهى منه لتوه، وقالت:

- هكذا يمكننا أن نستدعى (نيسي) وقتما يشاء (إيوان) كي يقتله.. لقد أنهيت مهمتي، ولم يبق سوى نحت القلادة..

وفتحت كتابًا أمامها، أخرجت منه ورقة مرسوما عليها بالقلم الرصاص. عن طريق التظليل - نسخة طبق الأصل لقلادة الفداء المسروقة... رسم خشن يصور تنينا يلتهم فتاة وهي تنظر إلى السماء.. وحولها حروف مزخرفة لا تنم عن ذوق جيد..

- (رفعت)!.. سأكون بحاجة لعونك، فأنت تجيد الرسم والنحت. علينا أن نصنع قلادة برونزية تماثل تمامًا هذا الرسم..

- بكل سرور.. ولكن ما الداعي إليها..؟!

قالت وكلها دهشة من حماقتي:

- أحيانًا لا أفهمك يا (رفعت)..

كيف يفترسني وحش (لوخ نس) إذا كنت لا أرتدي قلادة الفداء؟!

❋ ❋ ❋

١٠ - خطتنا يجب أن تنجح..

فرد (إيوان فريزر) على المنضدة لفافة الورق التي يحملها.. وأشار إلى نقاط حمراء متناثرة هنا وهناك، مستعملًا طرف سيجارته المشتعلة كمؤشر..

- ها هي ذي..!.. شبكة كاملة على عدة أعماق من الألغام البحرية القذرة.. تكفى لمسة واحدة لزر المفجر، كي تتطاير أشلاء هذا الوحش في الفضاء..، سنمرح كثيرًا.. هي هي هي!

قال سير (جيمس) في ذعر:

- لحظة أيها السفاح..!.. نحن لا نريد قتل الوحش فقط، بل نريد قتله والاحتفاظ بجثته سليمة لغرض البحث العلمي..

مضغ (فريزر) سيجارته، وقد بدا عليه الإحباط.. واستدرك:

- نعم.. بالفعل!.. ثم إن الانفجار سيفتت المرأة أيضًا..!

هكذا..!.. هذا الوحش الفظ يقول عن حبيبتي الرقيقة (ماجي)..المرأة.. حقًا إنه لا يملك ذرة لياقة.. وليس - على أية حال - ذكيًا..

شرع الرجل يهرش راسه دقائق، ثم قال:

- الواقع أنني لا أجد حلًا يقتل هذا الوحش، دون أن يمزقه.. تقول لي إن طوله ١٢ مترًا..؟!..

- نعم.. هكذا قالوا..

- هذا كثير.. هممم!

ثم قال بعد تردد:

- الواقع أن هناك حلًا غير مرض.. هو أن نجتذبه ليقترب، ثم نصوب خراطيش قوية - مثل تلك التي نستعملها في صيد الخراتيت - إلى مقاتله.. إلى عينيه وما بينهما وحلقه..

قال سير (جيمس):

- لكن هذا يجعل الخطة كلها تتوقف على رد فعلنا لحظة خروجه من الماء، وعلى دقة تصويبك..، ثم إنه بالقطع سيتلوى ويثور، ولن نأمن ضربة من ذيله - إذا كان له ذيل - تطيح ب (ماجي) أو تمزقها..

صحت في غضب حقيقي:

- لا زلتما تتحدثان كان (ماجي) ستقبل فعلًا أن تقف في موقف الضحية أمام الوحش.. إنني أرفض.. وأمنعكما بشدة..!..

نظر (إيوان) إلي وإلى السير (جيمس) نظرة معناها - بوضوح - ماذا دها هذا الأبله؟!، أما السير (جيمس) فإنه نظر إلى في حزم، وقال:

- د. (إسماعيل).. إن قبول (ماجي) أو رفضها ليسا من شأنك.. إنها هي الوحيدة صاحبة القرار.. إنها تعرف أننا بحاجة لدورها.. وتعرف أننا لن ندع شرًا يمسها، فلا تلعب دور العاشق الحنون على حساب رصيد حبي لها كأب..

بمعنى آخر.. لست أنت الوحيد الذي يحبها في هذا العالم..

صاحت (ماجي) محاولة تهدئة الموقف:

- (رفعت).. أرجوك.. أنا أقبل ذلك، بل وأرحب به..

صحت وقد أوشكت على البكاء، خاصة أن السير (جيمس) لم يغضب علي هكذا قبلًا:

- إذن لم لا تقدمون له تلك الفتاة (إيريكا)؟.. أليست من أصل اسكندنافي يحبه هو؟

قالت (ماجي):

- إن البائسة لن تتحمل أية تجربة قاسية أخرى.. أما أنا فأتحمل..

وقال (إيوان) وهو ينظر ناحية (ماجي) في ثقة وخبث:

. ثم إن الوحش لن يفرق بين فتاة اسكندنافية، وفتاة اسكتلندية.. إن الفتيات يتشابهن جميعًا..!

يا لك من خنزير..!

❋ ❋ ❋

وبدأت أقسى أيام حياتي..

كان (إيوان) يقيم عندنا ليلًا ونهارًا تقريبًا، ورائحة أنفاسه العطنة تلاحقني، وعباراته الفظة التي يغازل بها (ماجي) - أو يظن أنه يغازلها بها - تثقب مسمعي.. والسير (جيمس) يرحب.. و(ماجي) تبتسم.. وأنا أحترق!

لقد تغيرت (ماجي) كثيرًا..

لم أعد أرى نفسي في عينيها، وأعرف - في هلع حقيقي - أنني قد بدأت أفقدها..!

لقد كان هذا خطئي..

لقد أحببتها حبًا هادئًا منتظمًا كالنهر الراكد.. لا جديد فيه ولا مفاجئ.. إنني فقدتها في اليوم الذي عرفت هي فيه يقينًا أنها لن تفقدني!!، أما (إيوان) فهو الخيال ذاته.. هو البحر المتقلب الثائر، الذي لن تعرف أبدًا ما إذا كانت راقت له من عدمه، ولن يكف عن إحباطها وإثارة قلقها..

ان حبي الممل.. وإخلاصي الأبدي.. وانبهاري الخالد بها، هي الأسباب التي جعلتها تفلت كالماء من يدي..، والنساء لا

يستغنين عن المحب المنبهر متقطع الانفاس خلفهن، لكنهن يردن - بالفعل - ذلك الوغد الوقح الفظ، الذي لا يعيرهن اهتمامًا كي يمشي أمامهن.. وليكن هذا درسًا لي في قصصي التالية، إن وجدت..

❋ ❋ ❋

عاد (إيوان فريزر) إلى القصر حاملًا لفافة كبيرة.. وعلى المائدة الموجودة في قاعة الطعام أفرغها. أمام نظرات (جراهام) كبير الخدم المشمئزة - ليرينا ما فيها من عجائب.. وكانت هناك زجاجتان كبيرتان مليئتان بسائل ما، وقد تم لحام قاعدة كل منهما بشيء يشبه السهم..

- والآن ترون أحدث ما وصلت إليه..

ثم شرع يشرح لنا الفكرة. إن هذه الزجاجات مليئة بحمض الكبريتيك المركز ومجهزة بحيث يمكن تركيبها في فوهة بندقية الأعماق..

- وعند خروج الوحش فاغرًا فاه نقوم - أنا والأخ - بإطلاق هاتين الزجاجتين على فمه.. ستنفجران فورًا بالداخل وتحدثان قروحًا وحروقًا مروعة قد تقتله على الفور.. دون أن يصاب بأذى في جسده..

- وقد لا تقتله..!

قلتها في شك وبرود..، فقال لي بلهجة ساخرة:

- عندئذ.. ستهدأ حماسته ويغوص في الأعماق إلى أن نحرر المرأة ونفكر في فكرة أخرى..!!

أبدى سير (جيمس) حماسته للفكرة، وأيدته (ماجي) أما أنا فقد كان رأيي واضحًا أن مجزرة ستحدث نتيجة اقتراح هذا المعتوه.. إن (نيسي) لن يموت قبل أن يقلب البحيرة رأسًا على عقب، ويقتلع الصخرة وعليها (ماجي).. ويفترسنا جميعًا.. و... و...

- اسمعني يا أخ.. إما أن تقول فكرة أفضل أو تصمت..

فصمت..

❋ ❋ ❋

وهكذا اقترب اليوم الموعود..

وبقلب جريح وروح قلقة، شرعت أعد القلادة البرونزية المشئومة التي سترتديها

حبيبتي – السابقة - حين تقدم نفسها لوحش (لوخ نس)...

وشرعت أتدرب مع (ايوان) على استعمال البندقيتين الخاصتين بالأعماق، وعلى تركيب ونزع زجاجات الحمض الحارق من فوهات بندقيتيهما..

وعلمني (فريزر) أن أطلق بندقيتي، ثم أتراجع لأعيد حشوها، في الوقت الذي يطلق هو فيه بندقيته... وهكذا لا يتوقف سيل الزجاجات الحارقة لحظة..

- كلما المت الحروق الوحش، فتح فاه اكثر.. سيكون التصويب أسهل عندئذ..، سيكون مع كل منا أربع زجاجات فحافظ عليها..

الواقع أن (فريزر) لم يكن سيئًا إلى هذا الحد.. فقد علمني الكثير بالفعل..، ثم إنه لم يتقاض مليمًا من السير (جيمس) مقابل مجهوداته.. لقد كان حبه للتدمير خالصًا بلا أي غرض (دنيوي)... إن فكرة قتل هذا الوحش قد أنسته كل المطامع المادية، وقشور حياتنا السطحية**!!**

وجاء اليوم..

*** * ***

وأخيرًا جاء المشهد الذي بدأت به قصتي..

نحن الأربعة في قارب يتأرجح بين أمواج البحيرة، متجها نحو صخرة القرابين المشئومة.. والضباب يغمر سطح

الماء ويجعل الرؤية عسيرة تمامًا، مما سيجعل مهمة التصويب شديدة التعقيد...

(ماجي) ترتدي القلادة في صمت، وتفك دبوس شعرها كي تتناثر خصلاته الشقراء على كتفيها..

السير (جيمس) يتأكد من ثباتنا وإصرارنا على الاستمرار - ما عداي بالطبع - ثم يساعد (ماجي) في الصعود للصخرة، التي تناثرت عليها عظام عشرات الأكف، لفتيات في عمر الزهور، سبقنها ها هنا منذ ثمانية قرون..

ثم قام (إيوان فريزر) بربطها - رباطًا صوريًا غير محكم - إلى العمود الخشبي، وتأكد أنها بحركة بسيطة تستطيع تحرير يديها والفرار في أية لحظة تريد...

ثم إننا تركناها واقفة.. وحيدة.. عزيزة إلى نفسي.. شجاعة..

ونزلنا إلى القارب.. وأوصلنا السير (جيمس) الى صخور الشاطئ المجاورة لقلعة (إيركهارت).. ثم عدنا - أنا و(إيوان)- إلى الصخرة حيث اختبأنا في القارب وعينانا على (ماجي)..اعني على شبحها الواقف وسط الضباب..

وكان على السير (جيمس) أن ينفخ في البوق، حين تصير الساعة الثانية عشرة تمامًا..

في صمت نعد بندقيتينا.. ونرص زجاجات الحامض في قاع الزورق.. (إيوان) متوتر تمامًا لكنه يداري ذلك بقناع من ثقل الدم والتعالي.. أما أنا فيكاد قلبي

يثب من فمي لو جرؤت وفتحته.. لهذا أصمت...
كان الضباب باردًا ثقيلًا كالكابوس، وكان هناك طائر شؤم لا أعرف نوعه، يحوم حول الصخرة في دوائر متلاحقة..، في حين أخذ القارب يتأرجح..
اشعل (إيوان) سيجارة، ومد يده إلى حقيبته، فاخرج منها كشافًا يخرج منه سلكان.. ثم بطارية سيارة، أوصل بها طرفي السلكين مستعملًا (بنسة) صغيرة، وأضاء الكشاف، فانبعث نور أصفر كئيب، نجح في إزالة الضباب حول الصخرة، وبدت لنا (ماجي) واقفة وهي تضيق عينيها من أثر الضوء.. وكان موقعنا في الماء على بعد عشرين مترًا من الصخرة:

- مصباح فوسفوري.. إنك لا تنسى شيئًا..

قلتها له في إعجاب..، فقال وهو يرمي السيجارة في الماء بعد نفس واحد منها، لأن أعصابه لم تتحمل المزيد من الدخان:

- بالطبع... إن الضباب يفسد تسعين في المائة من الخطط المحكمة.. هذه حقيقة..

- المهم الآن ألا يتعكر مزاج الوحش، لأنه لم يعتد هذه المؤثرات المسرحية على مائدة العشاء..

قال (فريزر) وهو يشعل - لا شعوريًا- سيجارة أخرى..

- لا أظن.. ولا أعتقد أنه سيلاحظ الضوء أساسًا..

ثم نظر إلى ساعته، وهمس بقلق:

- بقيت ثلاث دقائق...

الطائر يحوم حول الجزيرة أحيانًا، فتلتمع عيناه الشريرتان في ضوء الكشاف، ثم يخرج من دائرة الضوء ليصير مجرد ظل مرفرف في السماء القاتمة..

القارب يتأرجح في بطء..

دخان السيجارة ودقات قلبي.. وحلقي الجاف..

قبضة (إيوان) تتوتر على البندقية..

الآن أرى - بعين الخيال - السير (جيمس) واقفًا في الظلام عند قلعة (إيركهارت) يرفع البوق العاجي إلى فمه.. وينفخ..

تبًا لهذا الصمت..!

هذا الصمت المشئوم الذي تكاد تسمع له ضجيجًا يدوي في أذنيك، ويكاد يخرقها.. صمت له كيان ملموس ثقيل.. و...

صفحة الماء تتحرك..

تصلبت قبضتي على البندقية..

شيء أسود ضخم يرتفع من البحيرة والماء يتساقط منه والأمواج تثور وتتعالى..

في بطء وثقة ينفض عن نفسه قطرات الماء ويتحرك.. الآن نرى ذلك الشيء.. الرأس والعنق.. والعينين..

وسمعت (فريزر) يهمس حتى أن السيجارة سقطت منه:

- يا للهول!!

كائن أسطوري خارج من كتب التاريخ الطبيعي، ومن أساطير الفايكنج، يرفع رأسه فوق سطح مياه البحيرة، ويتقدم من الصخرة.. العنق طويل كعنق الأفعى.. الرأس عملاق تلتمع فيه عينان ناريتان.. ثم معرفة الحصان التي تحدث عنها الشهود ولم تصدقها مسز (جولد)...

لم يكن قد دخل دائرة الضوء بعد، لكني كنت أرتجف هلعًا من أن أرى بوضوح وجهة المريع، الذي عرفه غزاة الشمال تمامًا..

رفعت بندقيتي تجاهه، إلا أن يد (فريزر) المرتجفة أمسكت بيدي، ولأول مرة لمحت الرعب في عينيه الوقحتين، وهو يهمس:

- لا تطلق.. لقد أجهضت خطتنا..!!

- ماذا؟..

- إن حساباتي خاطئة.. لن يجدي مع هذا الشيء سوى (الطوربيد).. فلا تثر هياجه.. عملية فاشلة..

- ولكن...

- إن تأثير قذائفنا، لن يحدث سوى ما يحدثه كوب من الشاي الساخن في لسانك.. سيثور.. ويفتح أبواب الجحيم علينا وعلى المرأة..

ثم بدأ يتحرك بالمجذاف تجاه الصخرة ببطء وحذر.. وكان الوحش يتقدم بنفس السرعة والتؤدة من الجهة الأخرى، أخرج (فريزر) سكينًا من حزامه، وهمس وهو يقذفه إلي:

- حاول أن تحرر الفتاة.. سأراقب ظهرك من هنا..، عد بها وسنعود للشاطئ بأقصى سرعة.. إن هذا الشيء ثقيل الحركة أو هذا ما أرجوه..

وثبت - حاملًا بندقيتي - إلى الصخرة... إلى المسرح المعد للمأساة، وألقيت نظرة على المشهد الرهيب، الذي ستراه الضحية..أي رعب وأي هلع كانت تشعر



رفعت بندقيتى تجاهه ، إلا أن يد (فريزر) المرتجفة أمسكت بيدى ..

به الفتاة المقيدة، وهي ترى ذلك الشيء الأسطوري يتجه نحوها هي..؟!.. لم يزل بعيدًا لحسن الحظ.. لهذا جريت خلف (ماجي) وشرعت أمزق قيودها بالسكين، دون أن تسألني عن شيء.. عيناها مثبتتان - كالمنومة مغناطيسيًا. على الوحش الذي يتقدم رافعًا رأسه من الماء في صمت نحوها هي.. هي...

- (ماجي) يا حبيبتي.. لن نحاول أكثر.. لقد أدركنا قصورنا..

(ماجي).. إنني..

❋ ❋ ❋

وهنا - وقبل أن أفهم ما حدث - وثب فوقي خيال أسود من إحدى الحفر

الموجودة في الصخرة.. والتحم معي محاولًا انتزاع السكين من يدي، وهو يسبني بلغة لا أعرفها..، اتخذت وضع المقاومة تلقائيًا، ووجهت له لكمة قوية بمؤخرة البندقية فوق رأسه.. ثم ركلة محمومة في أسفل بطنه..

لكن الوغد كان قويًا.. وسرعان ما استعاد توازنه، ووجه إلي ركلة أقوى من ركلتي في بطني، جعلت أذني تصفر والهواء يندفع من فمي، لكني - لحسن الحظ - لم أكن أملك ترف الإغماء..

صاح من بين أسنانه بالإنجليزية وهو يرفس السكين من يدي:

- يا أولاد الشياطين!.. إنكم ستفسدون كل شيء!!

وهنا سقط الضوء على وجهه.. فلمحت شاربه الأصفر، وشعره الطويل.. لم أحتج لإضاعة الوقت كي أعرف من هو.. (آنفريد هولثروب).. (آنفريد) الذي اختبأ



اتخذت وضع المقاومة تلقائيًّا ، ووجهت له لكمة قوية بمؤخرة البندقية على رأسه ..

طيلة الوقت فوق الصخرة - في هذه الحفرة - منتظرًا كي يرى ما سنفعله.. وفي هذه اللحظة الحرجة يعلن عن وجوده بأشرس الطرق.. والأسوأ أنه استطاع أن يتنزع مني السكين.

تأملت وجهه المسعور المجنون، وأسنانه البيضاء التي يكشف عنها كالذئاب، وأدركت أنني لن أهزمه أبدًا.. ولكن أين (فريزر)؟؟..

- إنكم ستثيرون غضبة (أودين) أيها الحمقى!.. لا تحاول حرمان الوحش من القربان أيها الكلب الإنجليزي..!!

إن الوحش يقترب من الصخرة..

لا وقت لدي.. لكن (ماجي) منبهرة تمامًا، ولن تكون ذات عون لي.. وهذا المتعصب

يلوح بالسكين في وجهي، وقد بدا لي أنه يعرف هذا السلاح جيدًا، وسيستخدمه كأفضل ما يكون.. لا يوجد خيار لدي.. صحت:

-... والآن يا بني لم يعد لدي وقت.. لقد أردت ذلك**!**

وضغطت على زناد البندقية فانطلقت زجاجة الحمض الحارقة نحوه من مسافة لا تتجاوز أربعة أمتار.. انفجرت الزجاجة في وجهه وجسده وتناثر رذاذها علي.. وسمعته يصرخ كإنسان يتعذب في أعماق الجحيم.. ورأيته يتلوى راقصًا رقصة الألم المجنونة.. وشممت رائحة اللحم المحترق..

ولحسن الحظ لم ار وجهه فقد خرج من دائرة الضوء..

إنه يترنح.. يصرخ..، ينهض ثم يلقي بنفسه في الماء وهو يردد عبارات لا أفهمها، بلغة لا أعرفها..، كان يسبح تجاه الوحش دون أن يعرف ذلك أو يرى شيئًا..

وهنا..

مد الوحش عنقه الطويل مدليًا رأسه في الماء الثائر، وفتح فيه الذي تملؤه الأنياب..

و...

انتثر الماء ملوثًا بسائل أحمر.. ولمحت يدين تحاولان إبعاد الفكين العملاقين.. وصرخة هلع.. ثم... لا شيء.

وارتفع الرأس في ثقة مستقرًا فوق عنقه.. ثم بدأ هذا الكابوس الحى يغطس في الماء

ببطء ورزانة، محدثا دوامة هائلة حوله وقد أخذت الفقاقيع تتكاثر فوق السطح.. وثمة أشياء لا أدري كنهها تتأرجح فوق صفحة الماء. ثم ساد الصمت..

تركت (ماجي) وجريت إلى الزورق لأرى.. إن كون (فريزر) لم يأت ولم يفعل شيئًا بعد كل هذه الأحداث، لا يعني سوي شيء واحد..، وهناك وجدته ممدودًا على قاع الزورق، ورأسه ينزف.. لقد ضربه المخبول بشيء على رأسه لكنه لم يزل حيًا.. إذن لقد سبح من الشاطئ إلى الصخرة، وضرب (فريزر) بالمجداف من الخلف، ثم تسلق الصخرة محاولًا منعي...

همس الصياد في إنهاك وهو يستند على ذراعي:

-... الوحش...؟!

- لقد نال قربانه الأخير ورحل..

ونظرت ناحية البحيرة، التي عاد سطحها يغفو على ما فيه من أسرار...

لقد استحق وحش (لوخ نس) حريته وحياته.. ولن يستطيع مخلوق أن ينتزعهما منه بعدنا..

❋ ❋ ❋

خاتمة..

قال السير (جيمس):

- وهكذا انتهت تلك القصة، دون أن نقدم للعالم دليلًا على وجود هذا الوحش، ناهيك عن جثته..، لقد ضاع كل هذا المجهود هباء..

ثم إنه نظر نحوي في لوم:

- لو أنك لم تلق للبحر بقلادة الفداء والبوق العاجي، لاستطعنا تدبير لقاء آخر مع هذا الوحش، نكون فيه أكثر استعدادًا.. لكني - اصارحك - لست غاضبًا منك إلى الحد الذي أحاول أن أبدو به...

قالت (ماجي) باسمة وقد استعادت لياقتها بعد نوم عميق:

- المشكلة أن (رفعت) اقتحم غرفة نومي بالأمس، واجبرني على...

- على ماذا..؟!

- على حرق كل ما دونته عن تردد وأطوال الموجات الخاصة بالبوق، حتى لا أحاول صنع بوق آخر..، بل إنه مزق الورقة التي رسمنا عليها القلادة اللعينة..

هز سير (جيمس) رأسه في حسرة، ونهض ليستعد للسفر إلى أدنبرة، واعدًا بأن يأخذني معه..، قلت لـ(ماجي) وأنا أرتب ثيابي أمام المرآة الموجودة في قاعة الجلوس:

- هكذا سيظل الوحش ذخرًا لاسكتلندا، يتساءل الناس عن كنهه، ويفرحون بلقطة رديئة يبدو فيها من تحت الماء.. إنه سيعتاد أكل الأسماك مرة أخرى، وينسى كل هذا الهراء إلى أن يجد أحدهم البوق مرة أخرى بعد قرون.. وينفخ فيه..

نظرت إلى (ماجي) وفي عينيها تلك النظرة الثابتة التي أخشاها، وهمست:

- للأبد؟!

- ماذا؟

- قلت إنك باق معي للأبد.. فلماذا ترحل الآن؟!

- هل نسيت (إيوان فريزر)؟!

نظرت إلى في ذهول.. ثم أخذت تضحك وهي تصفق بكفيها:

- إذن أنت تغار من (إيوان فريزر)؟.. لم أدرك من قبل ذلك.. ولم أعرف أنك معدوم الثقة بالنفس إلى هذا الحد... دع عنك هذه الخزعبلات يا (رفعت).. لو كنت سأقع في غرام كل من يحكي لي قصة مسلية، فأنا لم أزل طفلة غريرة.. إنه مسل لكنه مهرج

كبير وجزار.. فهل تظن أنني بلهاء إلى الدرجة التي لا أفهم فيها هذا؟!

ثم مدت سبابتها إلى أنفي مداعبة:

- أنا لم أعد مراهقة.. إنني.. أقترب من حافة الأربعين..، والمرأة في سن الأربعين تفهم ما هو الحب...

- لكني...

- إن المرأة تحب رجلها ليس لأنه أقوى الرجال، ولا أوسمهم. ولا أغناهم، بل لأنه هو.... هل تفهم هذا؟.. لأنه هو بضعفه وبقوته.. بهزاله وربوه وضيق شرايين التاجية.. لأنه هو..، والحب ليس استعراض قوة لكنه طاقة عطاء دافئة مستمرة.. كيف أنسى نضالنا المشترك بهذه البساطة؟

ازداد وجومي.. فمنطقها بارع وذكي.. لكني لم أسترح بعد.. إلى أن قالت:

- ثم إنك لست معدوم الحيلة إلى هذا الحد.. إنك قد أنقذتني وأنقذت (إيوان فريزر) نفسه..، إنك فككت قيود حبيبتك كما يفعل (طرزان) مع (جين) في نهايات أفلامه..، ومن أجلي

قلت في حزن مواصلًا كلامها:

- وقتلت...

- لم تقتله لأنه هو الذي رمى بنفسه أمام الوحش.. ثم إنه تم يترك لك الخيار.. وهذا هو الفارق بينك وبين (فريزر) الذي كان سيحكي احتراق (آنفريد) بالحمض في فخر شديد لو أنه كان مكانك..

ارتجفت تأثرًا - إعجابًا بنفسي!! - وكاد البكاء يغلبني، إلا أني تمالكت نفسي، وأخبرتها أنني يجب أن أذهب مرة أخرى، لأن جذوري هنالك في مصر.. عملي وأهلي وبيتي وقبري..، وأنني حين وعدتها بالبقاء معها لم أكن أدري ما أقول.. وكنت مدفوعًا ببركان عاطفي، يقذف الوعود بلا حساب..

قربت وجهها من وجهي، وهمست في حزن شفاف:

- للأبد...؟!

- ماذا؟!

- ستظل تذكرني.. إذن للأبد..؟

- وحتى تحترق النجوم.. وحتى...

وهنا صاحت في هلع وهي تشير إلى شيء خلف ظهري:

- (رفعت)!.. إن هذه الحلة الحديدية الخاصة بالسير (آرشيبالد ماكيلوب) تتحرك!!.. أقسم على هذا.. إن هناك شبحًا في هذه القاعة!!..

لقد انتهينا من الأخ (نيسي) لكي يبدأ هذا الاخ (آرشيبالد ماكيلوب) في تنغيص حياتينا..!..

قلت في إحباط وأنا أبتعد عنها، وأرتب حقيبتي:

- سأعود من أجل هذا الموضوع يومًا ما.. حاولي أن تحتفظي بهذا الشبح في حالة جيدة من أجلي!

- فليكن.. هذا وعد..!

وبعد أسبوع - أو أكثر - عدت لبيتي في الدقي بالقاهرة العزيزة.. وذكريات جديدة تتخذ أماكنها في متحف ذكرياتي، وفوق رفوف خواطري..، ظننت أن مشاكلي قد انتهت، ولكني - كالعادة - كنت مخطئًا، كان هناك كابوس آخر ينتظرني في نفس المنزل الذي أسكنه، ونفس الطابق.. ولكن هذه قصة أخرى!.

د. رفعت إسماعيل

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس



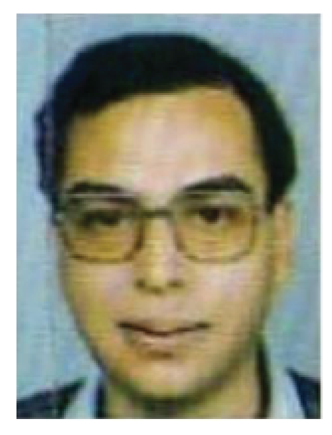
ما وراء الطبيعة

روايــات تحبس الأنفــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة وحش البحيرة

هناك من سمعوا صوته يزأر في الظلام، وهناك من شاهدوه يتحرك على صفحة البحيرة ..، قليلون سجلوا صوته .. وقليلون جدًا تمكنوا من تصويره .. لكن واحدًا .. واحدًا فقط استطاع أن يصل إلى ما هو أكثر ..، والآن ألقوا هذا الكتاب جانبًا فقد حان وقت الرعب الحقيقي ..، إلى بحيرة (لوخ نس) في إسكتلندا .. وتذكروا .. أن نصفكم لن يعود من هناك أبدًا !!..، تعالوا مع الدكتور رفعت إسماعيل لتبحثوا عن وحش البحيرة في الظلام .. ولكن لا تندموا على قراركم هذا ..





د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة آكل البشـر

ص
الثمن في مصـر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٨٣٥٥٥٤– ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

مقولة حقيقية.

[←2]

كل الشخصيات والأحداث في هذا الفصل حقيقية.

[←3]

السونار: كلمة هي ملخص الحروف الأولى من المقطع (الملاحة بالصوت وترديده)، وهو عبارة عن رادار مصغر يرسل الموجات فوق الصوتية ويستقبلها حين تريد، وله كثير من التطبيقات في الطب وعلوم البحار.

[←4]

فالهالا: هو الاسم الذي كان يطلقه الاسكندنافيون والجرمان على العالم الأخر.. وكان الأخيار في

عقيدتهم يدخلون الفردوس فيجلسون على موائد عليها لحوم الخنزير البري التي لا تنفد ويشربون اللبن المقدس من عنزة (هايدروكس).. أما الأشرار والخونة فيذهبون إلى مملكة الجحيم (نيفهايم) حيث يلاقون أعتى ألوان العذاب..

[←5]

أحدب النوتردام رائعة الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو.. في نهاية القصة تموت الغجرية الحسناء (ازميرالدا) فيصر الأحدب (كوزيمودو) على أن يدفن معها.. وتنتهي القصة بموقف الهيكلين العظميين المتشابكين كرمز لخلود الحب..

[←6]

دانتى اليجيرى: شاعر إيطالي عبقري من عصر النهضة، كتب ملحمة الكوميديا الإلهية، وفيها تخيل أن حبيبته (بياتريس) - التي سبقته في الموت في سن الشباب - تهديه في العالم الآخر وتريه كل شيء هناك. والقصيدة تشابه في وجوه عدة (رسالة الغفران) للشاعر (أبي العلاء المعري)...